مؤتمر النجف

رؤية نقدية قرآنية معاصرة

ودعوة صادقة للوحدة والتعايش الإسلامي

في ضوء أحداث مؤتمر النجف ..

علاء الدين المدرس

دار الرقيم/ بغداد – دار الأمل/ عمان
٢٠٠١م – ١٤٢٢هـ

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته ومن والاه.. وبعد

إن مفهوم الوحدة والتعايش يعد اليوم من ضرورات الأمن القومي الإسلامي بعد تصاعد حالة التوتر الطائفي والعرقي بين الفصائل والأطياف العرقية والدينية والمذهبية الموجودة على الساحة الإسلامية، لاسيما بعد أحداث نيويورك في مطلع هذا القرن، واستثمار تلك الأحداث الخطيرة لاتهام المسلمين عموماً بالتطرف والإرهاب، واستثمار تلك الأحداث لشن الحرب الشاملة على الكثير من الدول والشعوب الإسلامية بدعوى مكافحة الإرهاب وتجفيف منابعه، والأهم من كل ذلك الدور المشبوه لبعض القوى العالمية الخفية، لإثارة المشاكل والفتن الطائفية والعرقية بين المسلمين وبشكل مكثف وملفت للنظر لمن لديه أدنى حد من الوعي السياسي، وكذلك تشجيع الصراع والصدام الإعلامي والثقافي والدموي داخل مكونات الأمة، ومحاولة تأجيج حالة التوتر الطائفي والعرقي بيننا، لإشعال الحروب الأهلية والصراعات الدموية في أكثر من بقعة في أرجاء العالم الإسلامي، واستثمار الورقة الطائفية لتنفيذ المشاريع المعادية للعرب والمسلمين، لخدمة المشروع الغربي الاستعماري الجديد تحت ستار نشر الحرية والديمقراطية في العالم العربي ومحاربة الإرهاب الإسلامي، وفرض مفردات العولمة الغربية بأذرعها الثقافية والاقتصادية والسياسية والأمنية، بعد تفتيت الدول الإسلامية وتجزيء المجزأ منها، وفق آلية سايكس بيكو جديدة، وحسب مشروع الشرق الأوسط الاستعماري الجديد.[١]

كل ذلك التكالب المتعاظم للتوجه الاستعماري الجديد يدعونا إلى التفكير بجدية ودقة في الملف الطائفي وسبل إرساء قواعد الوحدة والتعايش البنّاء بين المسلمين في عالم اليوم المليء بالتحديات والمتناقضات والمؤامرات التي تحاول أن تنخر في جسد

---

[١] انظر كتاب: النظام الدولي الجديد/ منير شفيق.

الأمة المتخلف الضعيف، فضلا عن حالة الوهن والعجز التي يعاني منها العرب والمسلمين اليوم بسبب انسياقهم مع تلك التوجهات والتحالفات، سواء كان ذلك بسبب جهلهم وتخلفهم وضبابية الرؤية لقادتهم ومثقفيهم للواقع السياسي المعاصر، أم بسب الاختراق والعمالة والتبعية لبعض الكيانات الهزيلة التي تم زرعها هنا وهناك في أرجاء العالم الإسلامي على مستوى الفرد والأحزاب والجماعات وربما الحكومات أيضا، بحيث أصبحنا اليوم ندور في خضم فتنة مدلهمّة ظلماء يكاد يكون فيها الحليم حيران من شدة التداخل والتشابك واختلاط الأوراق بين أهل الحق والباطل، وشدة تكالب وتداعي الأمم علينا تماما كما أخبرنا المصطفى (ص) في الحديث الشهير الذي يقول فيه: يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليذهبن الله المهابة من قلوب أعدائكم لكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت.(رواه أصحاب السنن).

وهل هناك وهن أكثر من الوهن والعجز الذي يعيشه المسلمون اليوم، وهل هناك ذلّة أكبر من تلك الذلّة التي نتجرّعها اليوم، بحيث أصبحنا نُغزى في عقر دارنا ونهان بين أهلينا ولا نحرك ساكنا، وتنتهك الأعراض ويقتل الأطفال والنساء والشيوخ في مدننا وقرانا ونحن غائبون وغافلون وباهتون، لا نكاد نصل إلى حالة الوعي في حده الأدنى أو حتى حالة الحمر المستنفرة التي تفر من قسورة الصياد الفاتك والجلاد الذي يريد ذبحنا تباعاً أفراداً وجماعات على مسلخه الخبيث، بل قد نفاجأ أحياناً وفي صور أخرى لإدارة الصراع الدموي الداخلي بين بعض المتخلفين والمتشددين منا، ممن لا يؤمن بشرف الخصومة وقواعدها الإنسانية والحضارية، فنسمع ونرى – في أحيان أخرى – من يقتل على الهوية والاسم واللون والعرق سواء بسبب الانتماء الديني أم العرقي أم المذهبي وبإغراء وتشجيع من الخصوم وتحريض من أعداء الأمة التقليديين الذين يريدون لها السوء ويتربصون لها الدوائر. كل ذلك يجري ويحدث ونعيش أحداثة ومسلسل حلقاته المريرة، دون أن نعتبر ونعي حجم المأساة أو نعود إلى الحق

وتحكيم شرع الله والاعتصام بدينه وتعاليمه المنيرة، وفي مقدمتها مفهوم الوحدة والتوحيد والسلام والتعايش والأخوة التي جاء بها إسلامنا الحنيف.

ولعلي حين نظرت إلى واقعنا المعاصر وعشت ردحاً من الزمان أرى الأمة تجتر فتن الماضي ومآسيه دون أن تأخذ العبرة من التاريخ كما يقول الحكماء، وحين استقرأت التاريخ الإسلامي واطلعت على مفاصله المهمة، وجدت فيه العديد من المشاهد المضيئة والمحطات المنيرة والتوجهات الخيرة، التي تدعو إلى الوحدة والأخوة والتعايش الايجابي وإفشاء السلام، ليس بين المسلمين فحسب وإنما مع الأمم والأديان الأخرى، سواء في عصر النبوة الزاهر وما تلاه من العصور الإسلامية المنيرة التي كان القرآن الكريم فيها هو الموجّه والمحرّك لثقافة العالم وحضارته قبل أن تنكفئ وتنطفئ جذوته ويخبو نوره، بسبب معاصينا وابتعادنا عن الرسالة الإلهية ومسؤولية حملها إلى البشر كافة كما أمر الله سبحانه في كتابه العزيز.

ولعل آخر تلك المحطات والمشاهد الحاسمة والمؤتمرات التي دعت إلى الوحدة والتقارب المذهبي بين السنة والشيعة، هو مؤتمر النجف الذي حدث في نهاية الصراع الطائفي الطويل الذي أثير بين الصفويين والعثمانيين قبل أكثر من قرنين ونصف، وقد وجدت فيه – كباحث في الملف الطائفي – الكثير من المقررات والمفردات التي كانت تدعو إلى الوحدة والتعايش البنّاء وإقرار شرعية الآخر وحقه في الحياة وبناء حضارة القرآن دينيا وفكريا واجتماعيا وسياسيا، دون تقاطع مع الطرف الآخر ولا إلغاء أو إقصاء لدوره أو اجتثاث لوجوده، كما يدعونا السلوك الحضاري والأخلاقي قبل الوازع الديني، لتحديد العلاقة بين أي طرفين مختلفين على الأرض، أو بين الأطراف والفرقاء مهما كثر عددهم أو تنوعت ماهية اختلافاتهم، لان الإسلام في جوهره وتعاليمه الإلهية يقرّ الاختلاف والتنوع وتعدد الاجتهاد والصواب بل يقرّ التعايش الفكري والاجتماعي بين المختلفين، بل حتى بين فكرين متناقضين ومتعارضين، ويفضل الحوار والدعوة بينهما بالتي هي أحسن وترك حسابهم وتسوية خلافهم الأساسي والجوهري إلى الله في يوم الدين.

قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم﴾[1] وقال: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا اللّه ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون اللّه ..)[1] ولكن في الوقت نفسه لم أجد حدثا تاريخا أسيء إليه وأسيء فهمه، كما حدث مع حادث مؤتمر النجف سواء في وقت انعقاده أم في محاولة نشره وعرضه على المسلمين خلال العقود الأخيرة، بحيث تم إجهاض ثماره وأهدافه الوحدوية في الحالتين لأسباب سنأتي عليها لاحقاً.

ولقد كان يراودني –منذ سنين– أن أقوم بإعادة نشر هذا المؤتمر الفريد والمهم في تاريخ الأمة، وفق المسطرة القرآنية والمنهج الوحدوي المحايد، بعيدا عن التكلف والتشدد والإدانة لهذا الطرف أو ذاك، وقد تشرفتُ سابقاً بإخراج كتب ومقالات عديدة في موضوع الطائفية وسبل علاجها، والدعوة للوحدة والتقارب بين المذاهب الإسلامية، لاسيما مذاهب الجمهور والإمامية، محاولاً إعادة صياغة وتحقيق كتاب مؤتمر النجف الذي نشره السيد محب الدين الخطيب في الخمسينات من القرن الماضي، والذي جرت أحداثه على أرض النجف والكوفة[2] وذلك قبل قرنين ونصف من الزمان تقريباً، وبالتحديد في ٢٢ شوال سنة ١١٥٦هـ الموافق ١٧٤٣/١٢/١١م، بين جمع من العلماء الأفاضل من السنة والشيعة برئاسة علامة العراق المعروف آنذاك السيد عبد اللّه السويدي، الذي دوّن وقائع هذا المؤتمر ضمن آثاره ومذكراته. ولقد وجدت هذه الرغبة في الشروع بالتحقيق للضرورات أعلاه، وبعد أن تغير الحال والواقع الذي كان يعيشه المسلمون في منتصف القرن الماضي حين خرج الكتاب بتحقيقه السابق.. وقد كان النفس المتشدد ما يزال مسيطراً على بعض الكتاب المسلمين

---

(1) سورة هود/ ١١٨-١١٩.

١ سورة آل عمران/ ٦٤.

(٢) لقد كانت الكوفة قبل ذلك قد تشرّفت بأن تكون عاصمة الخلافة الراشدة ردحاً من الزمن، خلال فترة حكم الإمام علي ﷺ وابنه الحسن.

من الطرفين، ولم تكن نوايا الوحدة والتقريب المخلصة قد تبلورت وانتشرت بعد بين المسلمين، فكان الكتاب على أهميته قد استخدم لإثبات خطأ المنهج الإمامي أمام منهج الجمهور، وكأنه إعلان عن انتصار للسنة على الشيعة، وليس لبث روح الوحدة والتقارب والدعوة إلى الوفاق والأخوة الإسلامية والتعايش البناء بين المسلمين، ومحاولة تصوير المؤتمر الذي أقيم على أرض النجف وبحضور علماء من الفريقين بأنه سني الطابع والأهداف، على الرغم من أن الواقع الفعلي كان يشير إلى حقيقة مهمة في أن أكثر المشاركين في المؤتمر كانوا من الشيعة سواء علماء النجف وكربلاء أم العلماء الذين حضروا مع السلطان نادر شاه راعي المؤتمر والداعي له — كما سنرى ذلك من خلال سرد أحداث المؤتمر – وكما رواها الشيخ عبد الله السويدي نفسه في مذكراته، فحاول الناشر تصوير المؤتمر — مع الأسف – على انه نصر وغلبة لأحد الفريقين على الفريق الآخر، ولذلك وجدنا ردة الفعل المتوقعة قد ظهرت في الجانب الثاني على شكل كتاب متشدّد النزعة والتفاصيل يدعو إلى تكريس المستحدثات والمكفرات والبدع التي كانت سائدة أبان الصراع الصفوي العثماني وتعميقها بين المسلمين، وكان يحمل اسم (مؤتمر علماء بغداد)، وقد نشر هذا الكتاب بعد كتاب مؤتمر النجف وكان رداً طبيعياً عليه، مصوراً ذلك المؤتمر المفتعل كأنه انتصار للشيعة على السنة، وقد مُلأ — مع الأسف – بالسب واللعن والطعن في كبار الصحابة وازدراء الجيل النبوي الشريف ومحاولة الحط من شأنه. وقد حاولنا تحليل بعض فقرات هذا الكتاب المنحول بطريقة علمية موضوعية في النصف الثاني من البحث، وحاولنا تبيان تناقضاته وأوهامه وركاكة طرحه، وكونه صنع وفق آلية رد الفعل المتشدد لنشر كتاب مؤتمر النجف بالطريقة المتشددة التي أشرنا إليها، بما لا يخدم منهج والوحدة ولا يفتح المجال للحوار الودي والتقارب والتسامح والتعايش الإسلامي الذي هو هدف المسلمين بكل مذاهبهم وأطيافهم من أجل إرساء قواعد الوحدة والسلام على الأسس القرآنية القويمة.

وقد تم بحمد الله تحقيق متن كتاب مؤتمر النجف والتعقيب على بعض أحداثه، توضيحاً للمبهم منها وإسنادا لروح الوحدة والتقارب المذهبي وخدمة للدين والعلم، كما قمنا بالتصرف في جزء يسير ومحدود سواء بالتعقيب والإضافة أم حذف

بعض الفقرات التي تحتوي على إطالة مملة وغير ضرورية أو تحاور غير مجدي لا يخدم الهدف الأساس للكتاب، لكي يعيش القارئ مع أحداث هذا المؤتمر الفريد، الذي كان –برأيي– قد وضع النقاط على الحروف في موضوع التعايش البنّاء والوحدة الإسلامية، وذلك بتأكيده على ضرورة إزالة المستحدثات والمكفرات التي شاعت بين المسلمين في القرون الأخيرة بسبب الصراع الدموي بين الصفويين والعثمانيين الذي دام ثلاثة قرون تقريباً. وأثر هذا الصراع في بلورة الطائفية وتعميق روح التشدّد والتعصب بين المسلمين، والتأطير والتنظير والتأصيل لتلك المستحدثات والعقائد المكفّرة والدخيلة على جوهر التشيع والتسنن، والفتن التي واكبت ذلك الصراع المرير خلال حقبته الطويلة[١].

ولعل البعض يسأل عن آلية الوحدة والتعايش والأخوة الإسلامية التي يمكن أن تعتمد بين الطرفين، كبديل عن آلية التكفير والتشدّد والتقوقع التي سادت في العصور الأخيرة[٢].

إن منهجية التصحيح والتنقيح وإعادة كتابة التراث الإسلامي يمكن أن تتم على مراحل عديدة قد تصل إلى عدة عقود من الزمن، ويمكن أن يستمر التصحيح لدى الفريقين بصورة منفصلة ومتوازية، أي أن يعتمد التصحيح على ذاتية التصحيح وفق المنظور القرآني الوسطي حتى إذا اقترب التصحيح من مراحله النهائية يمكن عندها تداخل التراثين وامتزاجهما (أي ربما يحتاج الأمر إلى خمسين سنة أو أكثر) لكي نبعد

---

(١) انظر: كتاب لمحات من تاريخ العراق الحديث/د. علي الوردي للوقوف على خلفيات وتفاصيل ذلك الصراع الطائفي المرير.

(٢) ولا ندعي أننا في حال يسمح لنا بتحديد هذه الآلية فضلا عن فرضها على أحد، ولكننا سنحاول أن نصف تلك الآلية، ولعل في المشورة والتدارس وتكاتف الجهود حول آلية الوحدة والتعايش الإسلامي ما يوصلنا إلى اتفاق كما وصل علماء المسلمين قبل قرنين من الزمان إلى ذلك الاتفاق ووضعوا أختامهم وتواقيعهم عليه واقنعوا أرباب السياسة وقادة المسلمين على العمل بمقتضى ذلك الاتفاق لحين من الزمن، وكاد الوفاق أن يكون أمراً واقعا لولا تغيّر الوضع السياسي وعودة الصراع الطائفي إلى ما كان عليه، بعد أن ورثت الدولة القاجارية الإرث المتشدد للدولة الصفوية، لتدور عجلة الزمن بنفس الطريقة التي كانت بين الصفويين والعثمانيين.

الفريقين عن الجدل العقيم ولكي نلمس عملياً صدق توجه التيار الوسطي لدى الطرفين، ولفظه للمستحدثات التي طرأت على التراث[1].

إن هذه الآلية المقترحة التي تستند على تعاليم القرآن والسنة الصحيحة، وتعتمد على التصحيح وإزالة المكفّرات كمقدمة للوحدة والتعايش الإسلامي، ومؤطرة بروح الأخوة والتسامح والسلام الحق وإنهاء حالة الصراع بكل أشكالها.. ستضمن لنا – إن شاء الله – العمل المثمر لخدمة الإسلام وإحياء رسالته العظيمة لنشر حضارة القرآن الكريم في ربوع الأرض والحياة في ظل كتاب الله العزيز.

ولعل طول الزمن والمرحلية في آلية الوحدة والتقريب القرآنية مهمة في بناء إعلام إسلامي وسطي مشترك وتكوين رأي عام إسلامي مشترك أيضاً لتعزيز الوسطية ومكافحة الغلو والتشدد والتكفير الذي لا يأتي بخير للفريقين، ومن خلال الجهود المخلصة والمتراكمة للدعاة والمفكرين والتربويين والقادة عبر الزمن، وذلك لأننا لسنا في حال معالجة فكرية واعتقادية فحسب، بل هي أيضا معالجة نفسية واجتماعية كذلك، لاجتثاث النفس الطائفي والمتشدد لدى البعض من الفريقين، والمعشعش في النفوس منذ قرون مصحوباً بذلك الركام الهائل من الروايات السوداء المدسوسة والمستحدثات والمكفرات التي أقحمت في التراث لتغذي الصراع الدموي المرير، والتي لابد من اقتلاعها من الكتب الصفراء والنفوس المتعصبة سواء بسواء، لكي نعيش في ظل تعاليم القرآن وهدي النبوة وأنوار السلف الصالح من الآل والأصحاب.. في الواقع نحن بحاجة إلى نوع من فترة النقاهة النفسية، وإلى ما يشبه مصطلح التيه القرآني[2] الذي دام أربعين عاما في حياة بني إسرائيل والأمم السابقة، لكي يظهر جيل أكثر استعداداً لتحمل هذه الرسالة وإزالة ذلك الركام الذي سطّر في الكتب وعلق في الأذهان بما يشبه الأدغال والأعشاب الضارة والسامة التي نبتت في تراث الأمة عبر القرون. ولعل مثل

---

(١) الأمة الوسط/ للمؤلف، ص ١٣٢.

(٢) قال تعالى:﴿ فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾سورة المائدة/٢٦.

تلك الآلية أو جزء منها نجدها واضحة في مقررات هذا المؤتمر الفريد والجهود التي بذلها العلماء والكتاب والقادة قبله وبعده.

لقد انبت الصراع الصفوي العثماني الكثير من المستحدثات والمكفرات لتبرير استمراره وتغذيته فكرياً وعقائدياً، وهو صراع كما نعلم الآن لم يخدم إلا أعداء الأمة وخصومها، وقد جعل الطرفان المتخاصمان من أرض الرافدين المسرح الأساسي لذلك الصراع المرير. مما أورثنا شيئاً من ذلك الإرث الطائفي، الذي لابد من التخلص منه وإلغاء أثره في الأفكار والنفوس والتراث. لذا فقد نكون معنيين نحن العرب أكثر من غيرنا في تطبيق آلية التصحيح والتقريب القرآنية سعياً إلى الوحدة الإسلامية المنشودة والتعايش الضروري لإرساء دعائم السلام في ربوع المجتمع الإسلامي.

لقد فرض الشاه إسماعيل آلية التكفير والتعصب وسب الشيخين وغيرها من المستحدثات، وأصدر العثمانيون كرد فعل لذلك التوجه فتاوى التكفير وإباحة الدماء والأعراض والأموال واحتقار التراث الإمامي عموماً، ولسنا مضطرين اليوم للأخذ بذلك الإرث الغث والركام الأسود، ولنا البديل الأفضل في تراثنا الإسلامي في عصور الإسلام الأولى حين كان العرب لغة وفكراً وحضارةً ونظاماً هم الذين يحكمون العالم الإسلامي، فالقرآن عربي والتسنن والتشيع عربي المنبت والأصل، فعلام ندخل في صراع فرضه الأعاجم — مع اعتزازنا بالمسلمين المخلصين منهم – على أنفسهم في العصور المتأخرة، حينما استبعدوا دور العرب القيادي ولغتهم وحضارتهم وتراثهم المستلهم من هدي القرآن والسنة ومن الوحي المعصوم، ليس هناك أدنى مبرر لترك ذلك التراث المنير والثر، تراث القرآن والسنة والسلف الصالح، والاسترشاد بذلك الركام الأسود والتراث الأسطوري الذي أفرزته عصور الفترة المظلمة وإرهاصات الصراع الدموي بين الصفويين والعثمانيين.

إن إزالة المستحدثات الطائفية والعثمانية وإزالة المكفرات ليس فيه تنازل من أحد الفريقين إلى الآخر. وإنما هو عودة هادئة إلى المنبع الأصيل، إلى التراث الصادق إلى القرآنية وفق أصول المذهب الموجود لدى كل طرف، إنها عودة إلى العقل والمنطق والرشد والمصلحة العليا والسلام الحق، بعيداً عن الجدل العقيم والصراع المحموم الذي

يخططه الأعداء لنا. فلا يستدعي ذلك ردة فعل إلا من خصوم وأعداء الإسلام. ولقد تآمر الأعداء على هذا الدين بشتى الصور والأشكال ومنها رعاية الصراع الطائفي الطويل بين الإيرانيين والعثمانيين[1] ولعلهم مازالوا يحلمون باستخدام الورقة الطائفية

---

(١) لقد كانت مؤامرة النساء الأجنبيات في البلاط العثماني والصفوي لا تقل خطرا عن أثر الصراع الدموي الطائفي بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وقد تزامنت مع نشأة الدولة الصفوية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي. ففي البلاط العثماني كانت الروسية الصليبية (ركسلانه) زوجة السلطان سليمان القانوني، وأحب نسائه إلى قلبه، والإيطالية اليهودية (نوربانو) زوجة ابنه السلطان سليم الثاني كانتا أخطر امرأتين أوربيتين كان لهما أثر حاسم في مجريات الأحداث السياسية والعسكرية في الدولة العثمانية، منذ عهد السلطان سليمان القانوني وحتى سقوطها بعد قرون طويلة من الوهن والضعف. فقد استطاعت ركسلانه الصليبية أن تغري السلطان سليمان بقتل ابنه وولي عهده وأبرز قادة جيشه مصطفى جلبي، والذي حقق انتصارات عديدة في الشرق والغرب، والتي أثارت مخاوف أوربا والدولة الصفوية معاً.

كما أغرت ركسلانه سليمان بالعدول عن قيادة الجيوش بنفسه في الحرب، وهو تقليد عثماني أصيل وإسلامي عريق.. ودفعته للانصراف إلى اللهو والمظاهر المادية، وترك إدارة الدولة بيد الصدور العظام الذين كانت تشرف هي على تعيينهم وسياستهم في الحكم والإدارة وأقنعته بتوقيع معاهدة مع فرنسا ثم بقية الدول الأوربية. تنص على منح الدولة العثمانية لفرنسا وبقية الدول الأوربية الامتيازات الأجنبية المعروفة تاريخيا، وإدخال القوانين الأوربية إلى الدولة العثمانية لحماية الرعايا الأجانب والأقليات غير المسلمة من جور الشريعة الإسلامية وقصورها في شمولهم بالعدل والرعاية (كما يزعم الأوربيون) ولذلك سمي سليمان بالقانوني. وأخيراً مهدت ركسلانه لزواج ابنها سليم الثاني من الإيطالية (نوربانو) التي كان لها دور في البلاط العثماني أكثر مما كان لعمتها ركسلانه، ولكثرة دسائس ركسلانه وتآمرها على الدولة العثمانية اضطر ابنها السلطان سليم الثاني إلى قتلها والتخلص منها، لتأخذ نوربانو دورها الخبيث في إدارة شؤون البلاد عن طريق زوجها السكير سليم الثاني.

أما في البلاط الصفوي، فقد كان لام الشاه إسماعيل الصفوي، (مارتة) بنت حسن الطويل مؤسس دولة الخروف الأبيض، وأمها كاترينا بنت كارلو يوحنا ملك مملكة طرابزوت المسيحية على ساحل البحر الأسود، وتدعى مارته (حليمة بيكم) أيضا كان لهما أثر مهم في حياة الشاه إسماعيل، فهما اللتان ربتا الشاه إسماعيل بعد مقتل أبيه (حيدر) وهو ابن سنة واحدة. فرضع حليبهما وتربى منذ نعومة أظافره على مأدبتهما في محبة أجداده لأمه وكره خصومهم، ونحن نعلم أن جده حسن الطويل وجد أمه كارلو يوحنا ملك مملكة طرابزوت كانا من أشد أعداء الدولة العثمانية، فضلا عن مصلحة أوربا القديمة في ضرورة تنمية العداء الصفوي العثماني وإشعال نار الحرب والفتنة بينهما كما هو معلوم بداهة. انظر كتاب: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق/ يوسف غنيمة وكتاب أربع قرون من تاريخ العراق الحديث/ لونكريك، وكتاب إيران في العصر الصفوي/ راجر سيوري.

وتفجير الصراع الطائفي بين السنة والشيعة في المشرق الإسلامي، وإيجاد كافة الذرائع والدسائس لزيادة التوتر الطائفي وإغراء طرف ضد طرف آخر بمختلف السبل والوسائل المتاحة.

لقد بدأ الصراع السياسي مع العلويين –ومنهم أئمة أهل البيت– في العصر الأموي، فلماذا نقحم العصر الراشد في هذا الصراع، وقد كان الإمام علي الوزير الأول في عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة، وقد كانت أواصر الأخوة والنسب والمصاهرة والجهاد المشترك هي السمة البارزة في حياة الآل والأصحاب، حتى بعد الفتنة والحروب التي ساهم في إثارتها الأعداء والغلاة داخل الصف المسلم، كما إن القرآن الكريم يثبت لهؤلاء الصفوة من الآل والأصحاب، أفضل الخصال والخلال ويؤكد روح المحبة والأخوة التي سادت بينهم ورضا الله عن عنهم في الكثير من آياته[1]. فترك سب الشيخين هو الذي ينسجم مع التشيع العلوي الأصيل، ويتعارض فقط مع التشيع الصفوي الدخيل.

كما أن تبادل التهم في مقولة تحريف القرآن، هي دعوى طائفية ظهرت في العصور المظلمة المتأخرة، فإذا كان الفريقان قد اتفقوا على صحة القرآن المطلقة وعدم تحريفه وتبرؤا من التحريف، فالواجب الشرعي والأخلاقي الملقى على عاتقهم هو تطهير التراث وكتب الحديث من الروايات المدسوسة التي تثبت التحريف، ففي التراث الإمامي المتأخر – للأسف – روايات كثيرة تقول بالزيادة والنقص وتثبت التحريف، والمطلوب من علماء الإمامية الأفاضل تطهير التراث من ذلك الركام الغث الذي لا يقبله المسلم ولا يقره تحت أي ذريعة، ولا يوجد مبرر علمي أن نربط ذلك التراث والروايات الساقطة والتي أشار إليها الإمام الخوئي في كتابه القيم (معجم رجال الحديث) ببعض الأخبار والروايات التي تنقل في كتب السنة عن اختلاف الصحابة وتعدد مصاحفهم الشخصية وموضوع القراءات القرآنية ومفهوم النسخ في القرآن، إن ظاهرة وجود مصاحف شخصية عند الصحابة قبل التدوين المتواتر الذي أجمع عليه الآل والأصحاب في عهد عثمان ﷺ والذي قامت بإنجازه لجنة متخصصة من

---

(١) راجع كتاب: فضائل جيل النبوة في القرآن والسنة / للمؤلف.

الصحابة، وشارك فيه كبار الصحابة وعلى رأسهم عثمان وعلي وزيد بن ثابت، وكانت اللجنة لا تثبت الآية إلا بعد شهادة شاهدين سمعاها من رسول الله ﷺ، وحفظها الصحابة عن ظهر قلب، هي ظاهرة طبيعية وصحية، بل قد تكون تلك الظاهرة أحد مسببات ودوافع تدوين القرآن وجمعه في مصحف واحد، ولا صلة لها بمفهوم التحريف وصحة القرآن التي حسمت بعد إجماع الصحابة على تدوينه بالطريقة المتواترة التي تمت وأنجزت على أحسن حال وبدقة منقطعة النظير. فليس في الأفق أي اتهام أو اختلاف بين السنة والشيعة حول هذه النقطة بالذات، لكن العقلية الطائفية المتشددة والتكفيرية تريد أن تصم الآخر بالارتداد وتثبت التكفير والفرقة والتهم المتبادلة بين الفريقين تبريرا للصراع القديم[1].

---

(١) راجع كتاب الظاهرة القرآنية والعقل / للمؤلف ط. بغداد وعمان/ عالم الكتب الحديث، فصل تدوين القرآن الكريم. والأمر نفسه في قضية زواج المتعة أو المنقطع.. فليس الأمر كما يراه بعض الجهلة من أن عمر هو الذي حرم المتعة، وإنما هي ثابتة التحريم عند مذاهب الجمهور وفق الضوابط الشرعية والروايات الصحيحة التي ثبتت عندهم، وممن روى النهي عن النبي r سيدنا علي رضي الله عنه أيضا. وقد انفرد بعض الإمامية بتحليلها وفق شروطها، ولا شائبة في ذلك، وهو أمر فقهي، طالما انفرد أحد المذاهب ببعض الأمور الفقهية دون بقية المذاهب، لكن المشكلة في استغلال ذلك التفرد من قبل بعض المغرضين لنشر الفساد والإباحية بين المسلمين. إن المتعة التي أحلت مدة معينة في عصر النبي r والتي يحلها الإمامية، هي زواج مؤقت له شروطه، ففيه شهود وموافقة ولي الأمر، وفيه تكون حقوق الزوجة والأطفال ثابتة، وقد أجازه النبي r لمدة في حالة السفر، غير أن بعض هؤلاء فتحوا الباب على مصراعيه وجعلوا هذا الزواج باباً للتحلل والفجور، فجعلوه بدون شهود وبدون موافقة ولي الأمر وبدون حقوق للمرأة أو أولادها، فاستحال إلى شيء آخر لا يقره أي مسلم بغض النظر عن المذهب والخلاف الفقهي، وهذا ما يأنف منه العربي والمسلم سنياً كان أم شيعياً، ولذلك لم ينتشر هذا النوع من الزواج إلا في أماكن معينة خارج البلاد العربية، وكرّهه بعض فقهاء الإمامية. (انظر كتاب:زواج المتعة/ د. شهلة الحائري، وكتاب: الإمام الصادق/ محمد أبو زهرة، وكتاب معجم رجال الحديث / السيد أبو القاسم الخوئي، وغيرها من المصادر الإسلامية التي تحدثت عن زواج المتعة والخلاف حوله).

وهكذا بقية الأمور والخلافات والاجتهادات الفقهية والشرعية التي تبدو لنا في ظاهرها خلافات مستعصية، لكنها وفق المنظور القرآني الوسطي وآلية التصحيح والتقريب المتسامحة المعتدلة ليست بخلاف مستعصي، ولا توجب تبادل التهم والخصومة والتضاد، بل توجب التكامل والتناصح والتنوع والتنافس في الحق..

قال تعالى: وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. [1]

بغداد - العاشر من المحرم ١٤٢١هـ

(١) سورة المائدة/٢.

كتاب مؤتمر النجف للسيد عبد الله السويدي العباسي
(دراسة نقدية تحقيقية على ضوء المنهج القرآني الوسط)
ترجمة رئيس المؤتمر ومدوّن أحداثه

إن كتاب مؤتمر النجف الذي نحاول تحقيقه والوقوف عنده للتعرف على ما تم من أحداث وحوار بين العلماء، مكتوب بقلم رئيسه السيد عبد الله السويدي العباسي، وكان قد نشر في سنة ١٣٣٣هـ بعنوان: (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية) بمطبعة السعادة بالقاهرة. ثم أعيد نشر الكتاب تحت اسم (مؤتمر النجف) من قبل السيد محب الدين الخطيب الناشر المصري المعروف.

والسيد عبد الله السويدي رئيس هذا المؤتمر وكاتب هذا الكتاب — هو أبو البركات عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين العباسي.. وأسرة السويدي هي إحدى الأسر العلمية الكريمة في بغداد، وهي من سلالة البيت العباسي الذي اضطلع بأمر الخلافة الإسلامية زمناً طويلاً. ولد السيد عبد الله السويدي سنة ١١٠٤هـ وتوفي سنة ١١٧٤هـ وكان عند رياسة هذا المؤتمر في الثانية والخمسين من عمره، أخذ العلم عن احمد بن أبي القاسم المدائني المغربي وعمه السيد أحمد بن مرعي السويدي والشيخ سلطان الجبوري والشيخ محمد بن عقيلة المكي، والشيخ علي الأنصاري الاحسائي وغيرهم من علماء العراق والشام والحجاز.

وقد أمتدحه السيد محمود شكري الآلوسي بأنه: (شيخ البسيطة على الإطلاق وزين الشريعة بالإجماع والاتفاق) وله من المؤلفات: شرح قيم على صحيح البخاري، وكتاب رشف الضَرَب[1]، والأمثال السائرة، وشرح دلائل الخيرات، وكتاب النفحة المسكية في الرحلة المكية الذي اثبت فيه أحداث وأخبار مؤتمر النجف الذي استل منه ونشر، والذي نحاول دراسته وتحقيقه ونقد مقرراته وتقويمه في هذا البحث المبسط. وقد حج السويدي ذلك العام بعد انتهاء المؤتمر، شكراً لله على ما تم على يده من إقناع نادر شاه وجماهير الشيعة وعلمائهم بمنع سب أصحاب رسول الله (ص)، وإقناع والي بغداد أحمد باشا والسلطان العثماني (محمود خان) بالاعتراف بمقررات المؤتمر، والعمل على إزالة المكفرات والمستحدثات الصفوية التي شاعت بين المسلمين.

---

(١) الضرب هو العسل.

كتاب مؤتمر النجف

نهاية الصراع الصفوي العثماني وظهور نادر شاه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين.

أما بعد: لما يسر الله لي نصرة الشريعة الغراء، وردع أهل البدع والأغراء، عزمت على حج بيت الله الحرام شكراً له على ما وفقني من نيل المرام، وما به إصلاح كافة أهل الإسلام. وإجراء الحق على يدي وإخماد نار الباطل بمباحثتي وإرجاع الشيعة عما هم عليه من سب الصحابة وتكفيرهم وادعائهم الفضل والخلافة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وتجويزهم المتعة والمسح على الرجلين وغير ذلك من القبائح والبدع والضلالة المشهورة عنهم.

وقصة ذلك باختصار إن مملكة العجم لما اضمحلت وملك الأفغان دار مملكتهم (أصفهان)[١] وملك آل عثمان بعض البلدان، وذلك بعد قتل الأفغان شاه حسين[٢]. فظهر ابنه طهماسب ليأخذ بالثأر ويكشف العار، فجمع من حوله من الأعاجم فاجتمع عليه كثير. ومن جملة من انضم إليه نادر شاه وكان طهماسب[٣] قليل الفكر والاهتمام بأمور الرعية منهمكاً بشرب الخمر فتقرب إليه نادر إلى أن صار اعتماد دولته[٤] وسلمه جميع أموره فشرع نادر شاه هذا في رد المماليك فأخذ أصفهان من يد الأفغان وفرقهم شذر مذر. فلقب بطهماسب قلي، ومعناه: عبد طهماسب، وغلب عليه

(١) وكان ذلك في سنة ١١٣٥هـ على يد الأمير محمود الأفغاني من قبيلة كازايي، وهو ابن الأمير أويس وأصلهم من قندهار. انظر ترجمته في (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي بك ٤٢٢٢.

(٢) وهو آخر ملوك الصفويين.

(٣) وهو الأمير الصفوي الخارج على الحكم الأفغاني الذي أسقط حكم آبائه الصفويين في إيران.

(٤) أي وزيره الأول وكان من اصطلاحهم أن يلقبوا الوزير بلقب (اعتماد الدولة) وهو لقب يوازي لقب (الصدر الأعظم) في الدولة العثمانية.

هذا اللقب (أكثر من أسمه)، ثم ثنى عنان عزمه نحو الممالك التي بيد آل عثمان يخلصها من أيديهم، وجاء في عسكر عظيم يحاصر بغداد والوالي فيها الوزير الكبير أحمد باشا بن حسن باشا، ولم يكن الوالي أحمد باشا مأموراً بقتال هذا الباغي الخارجي، بل كان مأمورا بحفظ داخل القلعة.. فحاصر هذا الباغي (نادر شاه) بغداد ثمانية أشهر حتى نفد الزاد وأكلوا لحوم الخيل والحمير بل والسنانير (القطط) والكلاب فدفعه الله عن بغداد وسلمها منه، وذلك إن آل عثمان جهزوا عليه عسكراً ورئيس العسكر طوبال عثمان باشا فتوجه نحو بغداد وهزم جنود الأعاجم حتى طهماسب قلي (نادر) معهم وكسرهم لكن بعد قتال شديد. ثم جاء نادر ثانية ليحاصر بغداد والوالي احمد باشا أيضا. فنجاها الله تعالى منه ثم أنه توجه نحو الروم (الأناضول) فنجاها الله منه، ولما رجع إلى صحراء مغان[1] بايعه الأعجام على السلطنة بتدبير منه وذلك سنة ١١٤٨هـ (وقد أصبح ملك إيران بعد موت طهماسب).. ثم انه توجه نحو الهند ولم يزل يمر في تلك البلاد إلى أن وصل إلى جهان آباد كرسي مملكة الهند فضبطها بعد قتال كثير. ثم أنه صالح سلطانها شاه محمد وأخذ من الهند أموالا كثيرة لا تعد ولا تحصى. ورتب مع شاه محمد كل عام أن يرسل خزينة من الأموال معلومة الأجناس والعدد، فارتحل من الهند وتوجه نحو تركستان. واستولى على بلخ وبخارى والحاصل أن الأفغان والتركستان وجميع أهل إيران أطاعوه وتَزْعُم العجم أن الهنود بايعوه وان الشاه محمد أصبح وكيلاً عنه (في الهند) ولأجل ذلك لقب نفسه (شاهنشاه) وأمر أن لا يسمى إلا بهذا الاسم.. ثم توجه نحو داغستان يريد اللزك[2] وهو في هذا المدة لا تنقطع سفراؤه ورسله عن الدولة العثمانية، فتارة يطلب منهم حد الرها إلى ما وراء عبادان، وان هذا ملكه بحسب الإرث عن تيمور الذي يدعي انه وارثه ويطلب منهم أيضا التصديق [أي الاعتراف] بأن المذهب الشيعي الذي هم عليه الآن هو مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام وانه حق، وان يقولوا: مذاهب الإسلام

---

(١) شرق إيران والهند وما جاورها وحاذاها.

(٢) وهي قبائل تسكن أواسط آسيا شديدة البأس في القتال وصعبة المراس وعنيدة في طبعها ومن هنا جاء لفظ (لزكي) في اللهجة العراقية العامية.

خمسة، ويطلب أن يكون له ركن خامس في الكعبة[1] ويطلب أن يكون هو الذي يباشر طريق الحج من طريق زبيدة، فيصلح البرك والآبار وغير ذلك، ويطلب أن يكون أمير الحاج وإذا ذهب من طريق العراق يذهب واحد من طرفه بالناس ويرجع..

ولم يزل هذا دأبه وديدنه، وهو (في حرب مع العثمانيين) ويسعى في الأرض بالفساد حتى أخرب أكثر أراضي العراقَين (أي عراق العرب والعجم). وظهر الخلل فيها إلى عام ١١٥٦هـ فجاء إلى عراق العرب بجحافل وجنود متوفرة، عدد الرمل والحصى، وبث سراياه وعساكره في تلك الأراضي فأبقى لحصار بغداد نحو سبعين ألفاً وأرسل لحصار البصرة نحو تسعين ألفاً، فحاصروها مدة ستة أشهر إلا أن البصرة ضربوها بالطوب (أي المدفع) والقنابر والبنادق، أما بغداد فإنهم كانوا يبعدون عنها نحو فرسخ وما ذلك إلا بتدبير واليها احمد باشا، وأما نادر شاه وباقي عسكره فتوجه إلى شهرزور فأطاعه أهلها، وكذلك عشائر الأكراد والأعراب، ثم توجه إلى قلعة كركوك فحاصرها ثمانية أيام، فضرب عليها في هذه المرة عشرين ألف طوب ومثلها قنابر فسلموا وأطاعوه ثم توجه إلى أربيل فسلم أهلها وأطاعوه، ثم توجه إلى الموصل وكان معه من العسكر نحو مائتي ألف مقاتل فرمى عليها في خلال سبعة أيام نحو أربعين ألف طوب ومثلها قنابر، فسلموا الأمور لمدبرها وهو الله تعالى، ثم حفر لغوماً وملأها باروداً ورصاصاً وأشعلها بالنار فكانت وبالاً عليه، فلما علم أنه لا يحصل من الموصل على طائل ارتحل عنها بعد أن عقد معاهدة صلح مع أهل الموصل[2]، وتوجه بعسكره إلى بغداد، فجاء ونزل في قصبة سيدنا الإمام موسى بن جعفر الكاظم[3] فزار الإمام الكاظم وزار حفيده الإمام محمداً الجواد، ثم عبر دجلة في قارب وزار الإمام أبا حنيفة [وتسمى هذه البلدة اليوم (الأعظمية)] ولم تزل الرسل تختلف بينه وبين أحمد باشا (والي بغداد) إلى أن تم الصلح بينهما) ورفع مطالبه بالإقرار بصحة مذهبه والتصديق بأنه مذهب جعفر الصادق عليه السلام ثم توجه إلى النجف لزيارة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وليرى القبة التي أمر بأن تبنى بالذهب.

---

(١) مكان بجوار الكعبة ليجتمع الشيعة مع إمامهم أو عالمهم وفقيههم كما موجود عند بقية المذاهب الإسلامية.

(٢) انظر كتاب: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. علي الوردي.

(٣) وتسمى هذه البلدة اليوم (الكاظمية) شمال بغداد.

والي بغداد وترشيح السويدي للمشاركة في المؤتمر

يقول السيد عبد الله السويدي العباسي وهو يروي قصة مؤتمر النجف:

فبينما أنا جالس قبيل المغرب من يوم الأحد الحادي والعشرين من شوال إذ جاء رسول الوزير احمد باشا يدعوني إليه، فذهبت بعد صلاة المغرب ودخلت دار الحاكم فخرج إلي بعض ندمائه وسماره (أحمد أغا) فقال: أتدري لمَ طلبك ؟

قلت: لا. قال: إن الباشا يريد أن يرسلك إلى الشاه نادر..

فقلت: ولم ذلك؟

قال: انه (يعني نادر شاه) يريد عالما يبحث مع علماء العجم في شأن مذهبهم (وان يتفقوا على إزالة المكفرات والمستحدثات التي أضافها الصفويون وان يقر الفريقان بإزالة المكفرات ويعترف الفريق الآخر بالمذهب الخامس)

قال السويدي: فكيف يسلمون لما أقول؟ لاسيما وهم في شوكتهم وكثرة عددهم، وهذا الشاه ظالم (جبار) فكيف أتجاسر على إقامة الدليل على بطلان مذهبه وتسفيه رأيه؟ وكيف تحصل المباحثة معهم وهم ينكرون كل حديث عندنا، فلا يقولون بصحة للكتب الستة ولا غيرها. وكل آية احتج بها يؤولونها ويقولون: الدليل إذا تطرقه الاحتمال يبطل به الاستدلال، كما أنهم يقولون: شرط الدليل أن يتفق عليه الخصمان على أن الأمور الاجتهادية تفيد الظن، فكيف ثبت لهم جواز المسح على الخفين وهو قد ثبت بالسنة؟ فإن قلت: روى حديث المسح على الخفين نحو سبعين صحابيا منهم الإمام علي رضي الله عنه قالوا: عندنا ثبت عدم جواز المسح برواية أكثر من مائة صحابي منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فإن قلت: إن هذه الأحاديث التي توردونها في صحة المسح موضوعة، فما هو جوابكم،هو جوابنا، فكيف يلزمون بمثل هذه الأحاديث؟ فأرجو من جناب الوزير أن يرفع هذه المحنة عني، وليرسل المفتي الحنفي أو المفتي الشافعي، فإنهما الأنسب في مثل هذه الحادثة.

فقال: احمد أغا: هذا أمر لا يمكن، وجناب الباشا اختارك لذلك فما يسعك سوى الامتثال فلا تحرك لسانك بخلاف مراده.

قال السويدي: ثم اجتمعت بالوزير أحمد باشا صبيحة تلك الليلة، فتذاكر معي بخصوص هذا الأمر كثيراً وقال:

اسأل الله تعالى أن يقوي حجتك، ويطلق بالصواب لسانك، وأنت مخير بين المباحثة وتركها: ولكن لا تترك البحث بالكلية بل أورد بعض الأبحاث في خلال الصحبة بالمناسبة ليعلم انك ذو علم، وأن رأيت منهم الأنصاف وأنهم يريدون إظهار الصواب فابحث معهم، وإياك أن تسلم لهم، ثم قال: إن الشاه نادر في النجف وأريدك أن تكون عنده صبيحة يوم الأربعاء.

وأتى لي بكسوة فاخرة، ودابة، وخادم وأرسل معي بعض خدام ركابه وواجهنا مع رسل العجم الذين جاءوا في طلبنا فخرجنا يوم الاثنين قبيل العصر لاثنين وعشرين خلون من شوال.

في طريق السفر

يقول السويدي: فلم أزل في الطريق أورد الدلائل من الطرفين وأتخيل الأجوبة إذا وقع اعتراض. ولم يزل هذا دأبي وديدني لا فكر لي إلا في تصوير الدلائل ودفع الشبه، حتى أني تصورت أكثر من مائة دليل، وعلى كل دليل جعلت جواباً أو جوابين أو ثلاثة على حسب الشبه وفطنتها. وحصل لي في الطريق ضيق، حتى صار بولي دماً عبيطاً فدخلنا الحلة[١] وهي إذ ذاك في يد الأعجام فلقيت فيها بعض أهل السنة والجماعة، فأخبروني بأن الشاه جمع لهذه المسألة كل مفت في بلاده، وقد بلغوا الآن سبعين مفتيا كلهم روافض (كذا).. فلما طرق سمعي ذلك حوقلت واسترجعت[٢] وزورت في نفسي كلاما وقلت: إن زعمت أني لست بمأجور بالمباحثة[٣] أجد نفسي لا تطيب بذلك، وإنْ باحثتهم أخش أن لا ينقل للشاه ما يقع، فعزم رأيي

(١) حلة دبيس بن يزيد.

(٢) أي وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٣) أي الجدال المذهبي، وهو أسلوب قديم وغير عملي في الوصول إلى حل واتفاق في الخلافات الطائفية، ويبدو أن السويدي كان يشعر بخطورة دوره وكان متحمساً ومتوجساً من الموقف.

وجزم فكري بأني لا أباحثهم إلا بحضور الشاه.وأقول له أنا قد رضينا بك، وأنت الحكم بيننا والله تعالى سائلك يوم القيامة، فاسمع مقالنا لكي يظهر لك الحق. ثم أني تخيلت إن مال رأيه إليهم، أخاصمه ولا أكالمه ولو أدى ذلك إلى قتلي ..

هذا كله أجريته في مخيلتي.

فخرجنا من الحلة وقت العشاء ليلة الأربعاء.. فلم نزل نسير تلك الليلة إلى أن جئنا (المشهد) المنسوب إلى ذي الكفل عليه السلام — وهو نصف الطريق بين الحلة والنجف فنزلنا خارج البناء واسترحنا قليلا، وصلينا الفجر. فلم نشعر إلا والبريد[1] يعدو عدواً شديداً فقال لي: أسرع فإن الشاه يدعوك في هذا الوقت.وكانت المسافة بيني وبين مخيم الشاه فرسخين، فقلت للبريد: وكيف عادة الشاه إذا أرسل إليه رسول من بعض الملوك، أيطلبه كطلبي هذا من الطريق، أم يبقى مدة ثم يطلبه؟

قال: ما طلب أحداً غيرك في الطريق ولا طلب سواك فتحركت السوداء، وقلت في نفسي ما طلبك الشاه مستعجلاً إلا ليلجئك على الإقرار والتصديق بمذهبه، فأولا يرغبك في الأموال، فإن أجبته وإلا أكرهك على ذلك فما رأيك؟ فخرجت على أني أقول الحق ولو كان فيه تلف نفسي، ولا يميلني ترغيب ولا يزعجني ترهيب.

لقاء السويدي ونادر شاه

يقول العلامة عبد الله السويدي العباسي:

فتراءى لي علمان كبيران رفيعان كالنخلة السحوق (أي العالية) فسألت عنهما، فقيل لي: إنهما علما الشاه يغرزهما ليعلم أكابر الجنود كيفية نزولهم في المخيم، فمنهم من ينزل عن يمين العلمين ومنهم من ينزل عن شمالها.. فسرنا حتى رأينا الخيام، وخيمته على سبعة أعمدة كبار رفيعة فجئنا إلى محل يعبر عنه عندهم بالـ (كشك خانه) وهي عبارة عن خيام متقابلة في كل طرف خمس عشرة خيمة على هيئة القبة التي لها إيوان لكن ذلك بلا عمد، وبين رأس الخيام مما يلي خيمة الشاه رواق

(١) أي: رسول الشاه.

متصل، وفي وسطه باب عليه سحاق[1] ففي الخيام التي عن اليمين نحو أربعة آلاف بنادقي ليلاً ونهارا يحرسون، والتي عن الشمال فارغة فيها كراسي منصوبة لا غير، فلما دنوت إلى الكشك خانه، نزلت فخرج لاستقبالي رجل، فرحب بي، وأكرمني، ولم يزل يسألني عن الباشا[2] وعن ضواحي أتباعه، وأنا أتعجب من كثرة معرفته بأتباع الباشا. فلما عرف ذلك مني، قال: كأنك لا تعرفني ؟ قلت: نعم.. فقال: أنا عبد الكريم بيك، خدمت في باب احمد باشا مدة، وفي هذه الأيام أرسلت من طرف الدولة الإيرانية إلى الدولة العثمانية ايلجياً[3].

فبينما هو يحدثني، إذا نحن بتسعة رجال اقبلوا، فلما وقع نظره عليهم قام على قدميه، فسلموا علي: فرددت عليهم وأنا جالس لا أعرفهم فشرع عبد الكريم يعرفهم لي واحدا بعد واحد. فقال لي: هذا معيار الممالك حسن خان، وهذا مصطفى خان، وهذا نظر علي خان، وهذا ميرزا كافي..

فلما سمعت بذكر (معيار الممالك) قمت على قدمي فصافحني هو ومن معه ورحبوا بي، ومعيار الممالك هو وزير الشاه كرجي الأصل من موالي الشاه حسين (أخر ملوك الصفويين).

ثم قالوا لي: تفضل لملاقاة الشاه.

فرفعوا السجف التي في وسط الرواق فبان وراءه رواق آخر، بينهما فسحة ثلاثة أذرع، فأوقفوني هناك وقالوا:

– إذا وقفنا قف وإذا مشينا أمش .

فأخذنا ذات اليسار فانتهى الرواق: وإذا ببرقع واسع يحيط به رواق يرى من البعد وفيه من الخيام لنسائه وحرمه فنظرت إلى خيمة الشاه، وإذا هو عني مقدار غلوة سهم، جالس على كرسي عال. فلما وقع نظره علي صاح بأعلى صوته: مرحبا بعبد

---

(١) أي: نوع من النقش والإطار والبرواز الذي يغطي الباب ويجملها في ذلك العصر.
(٢) أي الوالي احمد باشا.
(٣) أي سفيراً.

الله أفندي ..أخبرني أحمد خان (يعني احمد باشا) يقول: إني أرسلت عبد الله أفندي.. ثم قال لي: تقدم ..

فتقدمت مثل الأول، ووقفت ولم يزل يقول لي (تقدم) وأنا أتقدم خطا صغيراً حتى صرت منه قريبا نحو خمسة أذرع فرأيته رجلاً طويلا كما يعلم من جلسته، وعلى رأسه قلنسوة مربعة بيضاء كقلانس العجم، وعليه عمامة من المرعز مكللة بالدر واليواقيت والألماس وسائر نفائس الجواهر وفي عنقه قلائد در وجواهر وعلى عضده كذلك. والدر والألماس واليواقيت مخيطة على رقعة مربوطة بعضده، ويلوح على وجهه أثر الكبر وتقدم السن، حتى أن أسنانه المتقدمة ساقطة فهو ابن ثمانين عاما تقريباً ولحيته سوداء مصبوغة بالوسمة[1] ولكنها حسنة، وله حاجبان مقوسان مفروقان وعينان تميلان إلى الصفرة قليلاً إلا أنهما حسنتان. والحاصل إن صورته جميلة. فحينما وقع نظري عليه زالت هيبته عن قلبي وذهب عني الرعب فخاطبني باللغة التركمانية (كخطابه الأول) وقال لي: أتدري لم أردتك؟ فقلت: بخير وعافية.

فقال: إن في مملكتي فرقتين تركستان وأفغان، يقولون للإيرانيين (أنتم كفار) والكفر قبيح ولا يليق أن يكون في مملكتي قوم يكفر بعضهم بعضا. فالآن أنت وكيل من قبلي: ترفع جميع المكفرات (أي التي جاء بها الصفويون وفي مقدمتهم الشاه إسماعيل الصفوي مؤسس دولتهم في إيران قبل قرنين من عصر نادر شاه). وتشهد على الفرقة الثالثة بما يلتزمونه وكل ما رأيت أو سمعت تخبرني وتنقله لأحمد خان(والي بغداد)....

ثم رخص لي بالخروج، وأمر أن تكون دار ضيافتي عند اعتماد الدولة، وأن اجتمع بعد الظهر مع الملا باشي علي أكبر (ممثل العلماء المسلمين الشيعة في المؤتمر).

---

(١) نبات يختضب بورقه، ويقال هو العظم وورق النيل.

اجتماع السويدي مع الملا باشي مجتهد الإيرانيين الأكبر

يقول السيد عبد الله السويدي العباسي عن اجتماعه بمجتهد العجم الأكبر الملا باشي على أكبر ما نصه: فخرجت وأنا في غاية الفرح والسرور لأن حكم العجم صار بيدي. وأتيت دار الضيافة فجلست قليلاً، فجاء الاعتماد إلى خيمته فدعاني إلى الطعام، وكان المهمندار نظر علي خان وفي صحبته عبد الكريم بك، وأبو ذر بك. كان هؤلاء في خدمتي فلما أقبلت على الاعتماد وسلمت عليه رد عليّ السلام وهو جالس فانفعلت ووجدت في نفسي حيث لم يقم على قدميه.. فلما استقر بي الجلوس نهض على قدميه ورحب بي، وإذا هو رجل طويل جداً أبيض الوجه كبير السن لحيته مصبوغة بالوسمة إلا انه رجل عاقل يفهم المحاورات. فلما قام علمت أن هذه عادتهم يقومون بعد جلوس القادم، فأكلت عنده الغداء، فجاء الأمر باجتماعنا مع الملا باشي، فركبت دابتي وجماعة المهمندار يمشون أمامي. فعارضني رجل طويل في الطريق، زيه زي الأفغان فسلم عليّ ورحب بي فقلت له: من أنت؟

فقال: أنا الملا حمزة القلنجاني مفتي الأفغان.

قلت: إن الشاه أمر برفع كل مكفر عند الإيرانيين فربما ينازعونني في شيء من المكفرات، أو إنهم لا يذكرون بعض المكفرات، ونحن لا نعرف أحوالهم ولا عبادتهم، فما اطلعت على مكفر فأذكره حتى ارفعه.. فقال: يا سيدي إياك أن تغتر بقول الشاه، إنه إنما أرسلك إلى الملا باشي ليباحثك في أثناء الكلام وفي خلال المباحثة فاحترز منهم فقلت: إني أخشى عدم إنصافهم.

قال: كن أمينا من هذه، فإن الشاه جعل على هذا المجلس ناظراً، وعلى الناظر ناظراً آخر، ثم على الآخر آخر، وكل واحد لم يدر بحال صاحبه، فلا ينقل للشاه غير الواقع.

فلما قربت من خيمة الملا باشي خرج لاستقبالي راجلاً، فإذا هو رجل قصير أسمر له صداغ[1] إلى نصف رأسه، فنزلت عن دابتي فرحب بي وأجلسني على المنصة، وجلس كهيئة التلميذ فدار الكلام بيننا إلى أن خاطب الملا باشي ملا حمزة مفتي الأفغان، فقال له: رأيت اليوم الشيخ هادي خوجه بحر العلوم؟ فقال: نعم.

والعلامة هادي خوجه هذا قاضي بخارى، لقبه بحر العلوم، جاء إلى أوردي الشاه (أي إلى المعسكر) قبل مجيئي بأربعة أيام ومعه ستة من علماء ما وراء النهر[2]، فقال الملا باشي: كيف يسوغ له أن يلقب ببحر العلم وهو لا يعرف من العلم شيئا، فوالله لو سألته عن دليلين في خلافة علي لما استطاع أن يجيب عنهما، بل ولا الفحول من أهل السنة (وكررها) فقلت له: وما هذان الدليلان اللذان لا جواب عنهما؟

قال: قبل تحرير البحث أسألك هل قوله ﷺ لعلي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا إنه لا نبي من بعدي) ثابت عندكم ؟ فقلت: نعم انه حديث مشهور.

فقال: هذا الحديث بمنطوقه ومفهومه يدل دلالة صريحة على أن الخليفة بالحق بعد النبي ﷺ علي بن أبي طالب.

قلت: ما وجه الدليل من ذلك؟

قال: حيث اثبت النبي لعلي جميع منازل هارون ولم يستثن إلا النبوة — والاستثناء معيار العلوم — فثبتت الخلافة لعلي لأنها من جملة منازل هارون. فإنه لو عاش لكان خليفة موسى.

فقلت: صريح كلامك يدل على أن هذه القضية موجبة كلية فما سر (دليل) هذا الإيجاب الكلي؟

قال: الإضافة التي في الاستغراق بقرينة الاستثناء.

---

(١) أي علامة أو سمة في الصدغ.

(٢) تقع هذه البلاد اليوم بين شمال إيران وحوض بحر قزوين وأوزبكستان (بخارى وسمرقند) وكازاخستان وطاجيكستان وتركمانستان من دول آسيا الوسطى.

فقلت: أولاً: إن هذا الحديث نص غير جلي، وذلك لاختلاف المحدثين فيه، بين صحيح وحسن وضعيف حتى بالغ ابن الجوزي فادعى انه موضوع، فكيف تثبتون به الخلافة، وانتم تشترطون النص الجلي ؟

فقال: نعم، نقول بموجب ما ذكرت وان دليلنا ليس هذا، وإنما هو قوله ﷺ: (سلموا على علي بإمرة المؤمنين) وحديث الطائر. ولأنكم تدعون إنهما موضوعان. فكلامي في هذا الحديث معكم، لم تثبتوا انتم الخلافة لعلي به .

قلت: هذا الحديث لا يصلح أن يكون دليلاً.. من وجوه:-

منها إن الاستغراق ممنوع، إذ من جملة منازل هارون كونه نبياً مع موسى. باتفاق منا ومنكم، وعلي ليس بنبي باتفاق منا ومنكم لا مع النبي ﷺ ولا بعده فلو كانت المنازل الثابتة لهارون – باستثناء النبوة بعد النبي ﷺ – ثابتة لعلي لاقتضى أن يكون علي نبياً مع النبي ﷺ لأن النبوة معه لم تستثنَ، وهي من منازل هارون عليه السلام، وإنما المستثنى النبوة بعده، وأيضا من جملة منازل هارون كونه أخا شقيقا لموسى، وعلي ليس بأخ والعام إذا تخصص بغير الاستثناء صارت دلالته ظنية، فليحمل الكلام على منزلة واحدة، كما هو ظاهر التاء التي للواحدة فتكون الإضافة للعهد[1] وهو الأصل فيها، و(إلا) في الحديث بمعنى (لكن) كقولهم: فلان جواد إلا انه جبان، أي لكنه، فرجعت القضية مهملة يراد منها بعض غير معين فيها، وإنما تعينه من خارج، والمعين هو المنزلة المعهودة حين استخلف موسى هارون على بني إسرائيل، والدال على ذلك قوله تعالى: ﴿ اخلفني فِي قومي ﴾ ومنزلة علي هي استخلافه على المدينة في غزوة تبوك[2].

فقال الملا باشي: والاستخلاف يدل انه أفضل وانه الخليفة بعد النبي ﷺ.

فقلت: لو دل هذا على ما ذكرت لاقتضى أن ابن أم كلثوم خليفة بعد النبي ﷺ لأنه استخلفه (أيضا) على المدينة. كما استخلف غيره أيضا (خلال غزواته ﷺ)، فلم خصصتم عليا بذلك دون غيره مع اشتراك الكل في الاستخلاف؟ وأيضا لو كان هذا من

---

(١) أي يولي أمر المدينة في غياب النبي ﷺ منها.
(٢) كما استخلف موسى أخاه هارون لما ذهب إلى الجبل ليعود بالألواح (تعاليم التوراة).

باب الفضائل لما وجد علي في نفسه وقال: (أتجعلني مع النساء والأطفال والضعفة؟) فقال النبي ﷺ تطيباً لنفسه: (أما ترتضي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟).

فقال الملا باشي: قد ذكر في أصولكم أن العبرة بعموم باللفظ لا بخصوص السبب.

قلت: إني لم أجعل خصوص السبب دليلا وإنما هو قرينه تعين ذلك البعض المبهم.. فسكتْ ثم قال: عندي دليل آخر لا يقبل التأويل، وهو قوله تعالى: ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ [1] قلت له: ما وجه الدليل من هذه الآية ؟

فقال: انه لما أتى نصارى نجران للمباهلة، احتضن النبي ﷺ الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة من ورائهم وعلي خلفها، ولم يقدم إلى الدعاء إلا الأفضل.

قلت: هذا من باب المناقب، لا من باب الفضائل، وكل صحابي اختص بمنقبة[2] لا توجد في غيره، كما لا يخفى على من تتبع كتب السير. وأيضا إن القرآن نزل على أسلوب كلام العرب، وطرز محاوراتهم، ولو فرض أن كبيرين من عشيرتين وقع بينهما حرب وجدال يقول أحدهما للآخر: أبرز أنت وخاصة عشيرتك، وأبرز أنا وخاصة عشيرتي، فنتقابل ولا يكون معنا من الأجانب أحد فهذا لا يدل على أنه لم يوجد مع الكبيرين أشجع من خاصتهما، وأيضا الدعاء بحضور الأقارب يقتضي الخشوع المقتضي لسرعة الإجابة.

فقال: ولا ينشأ الخشوع إذ ذاك إلا من كثرة المحبة.

فقلت: هذه المحبة مرجعها إلى الجبلة والطبيعة كمحبة الإنسان نفسه وولده أكثر ممن هو أفضل منه ومن ولده بطبقات، فلا يقتضي وزرا ولا أجراً، إنما المحبة المحدودة التي تقتضي أحد الأمرين المنفذين إنما هي المحبة الاختيارية.

فقال: وفيها وجه آخر يقتضي الأفضلية وهو حيث جعل نفسه ﷺ نفس علي، إذ في قوله (أبناءنا) يراد الحسن والحسين وفي (نساءنا) يراد فاطمة وفي (أنفسنا) لم يبق إلا علي والنبي ﷺ.

---

(١) سورة آل عمران/ ٦١.

(٢) أي امتياز وصفة طيبة.

فقلت: الله أعلم أنك لم تعرف الأصول العربية، كيف وقد عبر بأنفسنا و(الأنفس) جمع قلة مضافا إلى (نا) الدالة على الجمع، ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي تقسيم الآحاد كما في قولنا (ركب القوم دوابهم) أي، ركب كل واحد دابته وهذه مسألة مصرحة في الأصول غاية الأمر أنه أطلق الجمع على ما فوق الواحد، وهو مسوغ كقوله تعالى ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ أي عائشة وصفوان رضي الله عنهما[1] وقوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ ولم يكن لهما إلا قلبان، على أن أهل الميزان (أي أهل علم المنطق) يطلقون الجمع في التعاريف على ما فوق الواحد، وكذلك أطلق الأبناء على الحسن والحسين والنساء على فاطمة فقط مجازاً، نعم لو كان بدل أنفسنا (نفسي) لربما كان له وجه ما يحسب الظاهر، وأيضا لو كانت الآية دالة على خلافة علي لدلت على خلافة الحسن والحسين وفاطمة، مع أنه بطريق الاشتراك ولا قائل بذلك لأن الحسن والحسين إذ ذاك صغيران وفاطمة مفطومة كسائر النساء عن الولايات، فلم تكن الآية دالة على الخلافة.. فسكت.. ثم قال: عندي دليل آخر، وهو قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[2] أجمع أهل التفسير على إنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه على السائل وهو في الصلاة و(إنما) للحصر و(الولي) بمعنى: (إلا ولى منكم بالتصرف) فقلت: لهذه الآية عندي أجوبة كثيرة[3].

---

(١) في قضية الإفك المعروفة في السيرة والمذكورة في سورة النور/٢٦.

(٢) سورة المائدة / ٥٥.

(٣) راجع في المسائل الخلافية والجدل المذهبي حول الآيات والأحاديث والقضايا الشهيرة في ذلك الكتب الآتية: المراجعات/ عبد الحسين شرف الدين، والرد عليه في كتاب البينات في الرد على المراجعات/ محمود الزعبي) وكتاب مختصر التحفة الإثني عشرية/ محمود شكري الالوسي، وكتاب الخدعة/ صالح الورداني، وكتاب لأكون مع الصادقين وثم اهتديت/ محمد التيجاني، وكتاب مسالة التقريب/ د. ناصر القفاري وغيرها من الكتب الخلافية والردود المذهبية، والتي لم تصل إلى نتيجة لأن الجدل والتعصب والحوار العاطفي الحماسي لا يؤدي إلى شيء، فكل طرف مضطر أن يتشبث برأيه وقناعاته ويتعصب لها ويجد لها في التراث ألف مبرر للإصرار عليها وألف رد للدفاع عنها، لاسيما وان الثقة بين الطرفين في حالة الجدل العقيم تكون ضعيفة، وليس هناك في تراث الفريقين ما يمكن الرجوع إليه بسبب آلية التشكيك التي تسود الجدال عادة، والأجدى من كل ذلك العودة إلى الوحي والأصول لاسيما

يقول السويدي: وقبل أن أشرع في الأجوبة قال بعض الحاضرين (مع الملا باشي) باللغة الفارسية يخاطب شيخه (الملا باشي) بشيء معناه: اترك المباحثة مع هذا فإنه شيطان مجسم، وكلما زدت في الدلائل وأجابك عنها انحطت منزلتك فنظر إليَّ وتبسم وقال:

انك رجل فاضل، تجيب عن هذه وعن غيرها، ولكن كلامي مع بحر العلم، فإنه يستطيع أن يجيب. فقلت: الذي كان في صدر كلامك أن فحول أهل السنة لا يستطيعون الجواب: فهذا دعاني إلى المعارضة والمحاورة.

فقال: أنا رجل أعجمي، ولا أتقن العربية، فربما صدر مني لفظ غير مقصود لي..

ثم قلت له: أريد أن أسألك عن مسألتين لا يستطيع علماء العجم الجواب عنهما، فقال: وما هما.

قلت: الأولى: كيف حكم الصحابة عندكم ؟

فقال: ارتدوا (إلا خمسة: علياً والمقداد وأبا ذر وسلمان الفارسي وعمار ابن ياسر) لأنهم لم يبايعوا علياً على الخلافة (كذا). قلت: إن كان الأمر كذلك، فكيف زوج علي بنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب؟ فقال: انه مكره

قلت: واللّه إنكم اعتقدتم في علي منقصة لا يرضى بها أدنى العرب، فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأكرمها أرومة، وأفضلها حسباً وأعلاها نسباً، وأعظمها مروءة وحمية، وأكثرها نعوتاً سنية، وان أدنى العرب يبذل نفسه دون

القرآن والسنة الصحيحة والاحترام المتبادل لخصوصية كل طرف، بعد استبعاد الركام والتراث التكفيري بين الطرفين، وإزالة المستحدثات والبدع والروايات المدسوسة التي وجدت على يد أهل النفاق والأهواء والغلو والتعصب لاسيما في العصور الأخيرة، وتحديدا بعد عصر الأئمة والمجتهدين العظام، وفي مقدمتهم أصحاب المذاهب الستة ومن في منزلتهم من الأئمة والربانيين في القرون الأولى، وإرساء صيغة ثقافة الوسط القرآنية والتعددية المذهبية والتسامح والأخوة والتعايش البناء والابتعاد عن كل جدل عقيم، حين ذاك يمكن للتحاور البناء أن يثمر في هدي القرآن ونور الحكمة النبوية، ولصوت العقل والمنطق أن يعلو على التعصب والخرافة والجهل والتخلف والنفعية، وفق المعايير التي يطمئن إليها العقلاء من الفريقين وأهمها: القرآنية والأخلاقية والعلمية، فتسعد بلاد المسلمين بالوحدة والأخوة والمحبة والتعايش الديني والحضاري البناء، وبحضارة القرآن تنير الأرض من جديد، بعد أيام الصراع الطائفي المرير وليالي الظلام الطويل الذي غطى أرض المسلمين في القرون المظلمة الأخيرة.

عرضه، ويقتل دون حرمه، ولا تعز نفسه على حرمه وأهله، فكيف تثبتون لعلي وهو الشجاع الصنديد ليث بني طالب، أسد الله في المشارق والمغارب، مثل هذه المنقصة التي لا يرضى بها أجلاف العرب ؟ بل كم رأينا من قاتل دون عياله فقتل[١].

قال الملا باشي: يحتمل أن تكون زفت لعمر جنّية تصورت بصورة أم كلثوم؟

قلت: هذا أشنع من الأول: فكيف يعقل مثل هذا؟ ولو فتحنا هذا الباب لانسدت جميع أبواب الشريعة، حتى لو أن الرجل جاء إلى زوجته لاحتمل أن تقول: أنت جني تصورت بصورة زوجي فتمنعه من الإتيان إليها. فان أتى بشاهدين عدلين على أنه فلان لاحتمل أن يقال فيهما: إنهما جنيان تصورا بصورة هذين العدلين، وهلم جرا.. ويحتمل أن يقتل الإنسان أحدا، أو يدعي عليه بحق، فله أن يقول ليس المطالب أنا في هذه الحادثة، بل يحتمل أن يكون جنياً تصور بصورتي ويحتمل أن يكون الإمام جعفر الصادق صاحب مذهبكم كما تقولون جنياً تصور بصورته وألقى إليكم هذه الأحكام الثابتة[٢].

ثم قلت للملا باشي: ما حكم أفعال الخليفة الجائر عندكم. هل هي نافذة صحيحة؟

فقال: لا تصح ولا تنفذ.

---

(١) هناك مصاهرات عديدة بين الآل والأصحاب وليست هذه فقط، منها زواج الإمام علي من زوجة أبي بكر الصديق بعد وفاته وهي أسماء بنت عميس وهي أم ربيبه محمد بن أبي بكر وكانت قبل الصديق زوجة لشقيق علي وهو جعفر بن أبي طالب الذي قتل عنها في معركة مؤتة. وكذلك زواج الحسين من بنت عم عمر بن الخطاب وزوجته قبل استشهاده وهي الصحابية الجليلة عاتكة بنت زيد، وقد شهدت استشهاد الحسين في كربلاء، وكذا زواج الحسن من أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بعد مقتله يوم الجمل، ثم تزوجها بعده أخوه الحسين، وتزوجت سكينة بنت الحسين من مصعب بن الزبير بن العوام وغير ذلك كثير من جيل النبوة وحتى أتباع التابعين، انظر في ذلك كتاب: النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، للمؤلف وكتب التراجم والرجال والتاريخ والسير، كالطبقات الكبرى/ لابن سعد والإصابة / لابن حجر. وتاريخ الطبري واليعقوبي والمسعودي والأصفهاني وابن كثير وغيرها.

(٢) وذلك يعني إن مثل هذا التفكير الأسطوري إذا سيطر على العقول يؤدي بالضرورة إلى توقف العمل بالأسباب والسنن والعلل سواء الكونية أو الاجتماعية أو الشرعية. وهو مخالف بداهة لتعاليم القرآن والسنة وأصول الشريعة.

فقلت: أنشدك الله، من أي عشيرة أم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب؟

فقال: من بني حنيفة. فقلت: من سبي بني حنيفة؟

فقال: لا أدري

فقال بعض الحاضرين من علمائهم: سباهم أبو بكر ﷺ.

فقلت: كيف ساغ لعلي أن يأخذ جارية من السبي ويستولدها والإمام على رأيكم لا تنفذ أحكامه لجوره والاحتياط في الفروج أمر مقرر ؟

فقال: لعله استوهبها من أهلها، يعني زوجوه بها.

قلت: يحتاج هذا إلى دليل.. فسكتْ.. والحمد لله.

ثم قلت له: إنما لم آتك بحديث أو آية، لأني مهما بالغت في صحة الحديث، أقول: رواه أهل الكتب الستة وغيرهم.

فتقول: أنا لا أقول بصحتها وشرط الدليل أن يتفق عليه الخصمان ولو أتيتك بآية وقلت: (أجمع أهل التفسير على أن حكمها كذا وإنها نزلت في شأن أبي بكر) قلت: إجماع أهل التفسير لا يكون حجة علي. وتذكر تأويلاً بعيدا وتقول: الدليل إذا تطرقه الاحتمال بطل عنه الاستدلال، فهذا الذي دعاني إلى ترك الاستدلال بالآية أو الحديث.

ثم أن الشاه أخبر بهذه المباحثة طبق ما وقع، فأمر أن يجتمع علماء إيران وعلماؤه والأفغان، وعلماء ما وراء النهر، وان يرفعوا المكفرات بينهم، وأن أكون ناظرا عليهم، ووكيلا عن الشاه، وشاهداً على الفرق الثلاث بما يتفقون عليه. فخرجنا نشق الخيام، والأفغان والأزبك والعجم يشيرون إلينا بالأصابع، وكان يوماً مشهودا[1].

---

(١) انظر في تفاصيل ذلك كتاب: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. علي الوردي/ الجزء الأول والثاني، إذ يتكلم المؤلف عن تاريخ العراق في ظل الصراع الصفوي العثماني والمحاولات العديدة للصفويين ونادر شاه لإخضاع العراق، كما يذكر المؤلف عهد نادر شاه وترجمته وأحداث مؤتمر النجف وموافقة العثمانيين على مقرراته ووضعه حيز التنفيذ، ثم توقف ذلك النشاط السياسي والفكري بعد مقتل نادر شاه، ودخول إيران حقبة جديدة تسودها الفوضى السياسية والحروب الأهلية لمدة نصف قرن بعد عهد نادر شاه حتى ظهور الدولة القاجارية في إيران في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.(راجع المبحث السابق).

مؤتمر النجف في يومه الأول

اجتمع تحت المسقف الذي وراء ضريح الإمام علي رضي الله عنه من علماء إيران نحو سبعين عالما، ما فيهم من أهل السنة إلا مفتي أردلان[1] فطلبتُ دواة وقرطاساً وكتبت المشهورين منهم وهم:

١. الملا باشي، علي أكبر
٢. مفتي ركاب، أقا حسين.
٣. الملا محمد، أمام لاهجان.
٤. أقا شريف، مفتي مشهد رضا.
٥. ميرزا برهان، قاضي شروان.
٦. الشيخ حسين، المفتي بارومية
٧. ميرزا أبو الفضل، المفتي بقم.
٨. الحاج صادق، المفتي بجام.
٩. السيد محمد مهدي، أمام أصفهان.
١٠. الحاج محمد زكي مفتي كرمنشاه.
١١. الحاج محمد الثمامي، المفتي بشيراز.
١٢. ميرزا أسد الله، المفتي بتبريز.
١٣. الملا طالب، المفتي بمازندران.
١٤. الملا محمد مهدي، نائب الصدارة بمشهد الرضا.
١٥. الملا محمد صادق، المفتي بخلخال.
١٦. محمد مؤمن، المفتي بإسترباد.
١٧. السيد محمد تقي، المفتي بقزوين.
١٨. الملا محمد حسين، المفتي ببزوار.
١٩. السيد بهاء الدين، المفتي بكرمان.
٢٠. السيد احمد، المفتي الشافعي بأردلان..

وغيرهم من العلماء.

ثم جاء علماء الأفغان فكتب أسماءهم وهم:

١. الشيخ الملا حمزة القلنجاني الحنفي مفتي الأفغان.
٢. الملا أمين الأفغاني القلنجاني ابن الملا سليمان قاضي الأفغان.
٣. الملا طه الأفغاني المدرس بنادر آباد الحنفي.

---

(١) من ولايات إيران الغربية وأهلها أكراد. أهم مدنها كرمنشاه وسنا.

٤. الملا دنيا الخلفي الحنفي.
٥. الملا نور محمد الأفغاني القلنجاني الحنفي.
٦. الملا عبد الرزاق الأفغاني القلنجاني الحنفي..
٧. الملا إدريس الأفغاني الإيدالي الحنفي.

ثم جاء بعد ذلك علماء ما وراء النهر وهم سبعة يتقدمهم شيخ جليل عليه المهابة والوقار وعليه عمة مدورة.. فسلم عليهم وأجلسوه عن يميني على بعد خمسة عشر رجلاً من مكاني، وأجلسوا الأفغان عن شمالي وعلى بعد خمسة عشر رجلا عني أيضا.

فكتبت أسماءهم أيضا وهم:

١. العلامة هادي خوجة الملقب ببحر العلم بن علاء البخاري.
٢. مير عبد الله صدور البخاري الحنفي.
٣. قلندر خوجة البخاري الحنفي.
٤. ملا أميد صدور البخاري الحنفي.
٥. باد شاه مير خوجة البخاري الحنفي.
٦. ميرزا خوجة البخاري الحنفي.
٧. الملا إبراهيم البخاري الحنفي.

فلما استقر بهم الجلوس خاطب الملا باشي بحر العلم فقال له:

أتعرف هذا الرجل؟ (وهو يعنيني). فقال: لا.

قال: هذا من فضلاء علماء أهل السنة، الشيخ عبد الله أفندي، طلبه الشاه من الوزير أحمد باشا (والي بغداد) ليحضر هذا المجلس فيكون بيننا حكما، وهو وكيل عن الشاه، فإذا اتفق رأينا على حكم شهد علينا كلنا، فالآن بين لنا الأمور التي تكفروننا بها حتى نرفعها بحضوره، وأما في الحقيقة فلسنا بكفار عند أبي حنيفة، قال في (جامع الأصول): (مدار الإسلام على خمسة مذاهب) وعد الخامس مذهب الإمامية، وكذا صاحب(المواقف) عد الإمامية من الفرق الإسلامية. وقال أبو حنيفة في (الفقه الأكبر): (لا نكفر أهل القبلة). وقال فلان (وقد نسيت أسمه) في شرح هداية

الفقه الحنفي: (والصحيح إن الإمامية من الفرق الإسلامية) (وكذا الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين) عد الإمامية من فرق المسلمين).

ويستطرد الملا باشي في حديثه لبحر العلم هادي خوخة البخاري الحنفي فيقول: ولكن لما تعقب متأخروكم كفرونا. كما تعقب المتأخرون منا فكفروكم، وإلا فلا انتم كفار ولا نحن كفار. ولكن بين لنا الأمور التي ذكرها متأخروكم فكفرونا بها لكي نرفعها.

فقال هادي خوجة بحر العلم: انتم تكفرون بسبكم الشيخين.

فقال الملا باشي: رفعنا سب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فقال: وتكفرون بتضليلكم الصحابة وتكفيركم إياهم.

فقال: الملا باشي: الصحابة كلهم عدول، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فقال: وتقولون بحل المتعة. فقال: هي حرام لا يقبلها إلا السفهاء منا.

فقال بحر العلم: وتفضلون عليا على أبي بكر وتقولون: انه الخليفة الحق بعد النبي.

فقال الملا باشي: أفضل الخلق بعد النبي ﷺ أبو بكر بن أبي قحافة، فعمر بن الخطاب فعثمان بن عفان، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وان خلافتهم على هذا الترتيب الذي ذكرناه في تفضيلهم[١].

فقال بحر العلم: فما أصولكم وعقيدتكم؟ (يريد بسؤاله رفع مبدأ أن الإمامة من أصول الدين، ويمكن أن تعد من أصول المذاهب كما جعلها الكاتب الإمامي(محمد جواد مغنية) وبذلك ينتفي تكفير من لا يعتقد بضرورة الإمامة، لا سيما أهل السنة والاباضية وغيرهم).

فقال الملا باشي: أصولنا أشاعرة على عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري (أي ما يشبه أصول أهل السنة أو بعضهم، لا سيما في علم الكلام والعقائد)

---

(١) في الحقيقة إن هذه المسالة ليست من المكفرات، وذلك لأن في التفضيل سعة، ويمكن للمسلم أن يرتب أفضلية الصحابة حسب مناقبهم وفضائلهم وقربهم من رسول الله r وهو أمر لم يتفق عليه جميع الأئمة المجتهدين، لاسيما كبار الصحابة والسابقين الأولين، لكن ترتيب أفضليتهم حسب ترتيبهم الزمني في الخلافة الراشدة هو الذي اشتهر بين الجمهور، كما إن الشيعة الزيدية أجازوا إمامة المفضول بوجود الفاضل، فاستطاعوا أن يحلوا الأشكال حول شرعية خلافة الخلفاء الثلاثة قبل علي ﷺ وهو أفضلهم حسب ما يرون هم، وأصبحوا من أوائل الشيعة الذين أزالوا الوحشة والاختلاف والتكفير بينهم وبين مذاهب الجمهور.

فقال بحر العلم: أشرط عليكم أن لا تحلوا حراما معلوما من الدين بالضرورة وحرمته مجمع عليها، ولا تحرموا حلالا مجمعا عليه معلوما حله بالضرورة.

فقال الملا باشي: قبلنا هذا الشرط.

ثم شرط عليهم شروطا أخرى لم تكن مكفرة كبعض ما تقدم فقبلوها، ثم إن الملا باشي قال لبحر العلم:

فإذا نحن التزمنا جميع ذلك تعدنا من الفرق الإسلامية.

فسكت بحر العلم، ثم قال: سب الشيخين كفر.

فقال الملا باشي: نحن رفعنا سب الشيخين، ورفعنا كذا وكذا (وذكر بقية الشروط المتقدمة) وقال: أتعدنا من الفرق الإسلامية حقا أم تعتقد إننا كفار؟

فسكت بحر العلم، ثم قال: سب الشيخين كفر. فقال: ألم نرفعه.

فقال بحر العلم: وماذا رفعتم أيضا؟

فقال: رفعنا كذا وكذا. فهل تعدنا والحالة هذه من الفرق الإسلامية.

فقال بحر العلم: سب الشيخين كفر.

ومراد بحر العلم إن من وقع منه سب الشيخين لا تقبل توبته على مذهب الحنفية، وان هؤلاء الأعجام وقع منهم السب أولا، فرفعهم السب في هذا الوقت لا ينفعهم شيئا.

فقال الملا حمزة مفتي الأفغان: يا هادي خوجة، أعندك بينة عن أن هؤلاء قبل هذا المجلس صدر منهم سب الشيخين؟ قال: لا. فقال الملا حمزة: وهم قد صدر منهم التزام بأنه لا يقع منهم في المستقبل، فلم لم تعدهم من الفرق الإسلامية؟

قال بحر العلم: إذا كان الأمر كذلك فهم مسلمون لهم مالنا وعليهم ما علينا □

فقاموا كلهم وتصافحوا، ويقول أحدهم للأخر(أهلا بأخي) وأشهدني الفرق الثلاث على ما وقع منهم والتزموه.

ثم انفض المجلس قبيل المغرب من يوم الأربعاء لأربع وعشرين خلون من شوال، فنظرت فإذا الواقفون على رؤوسنا والمحيطون بنا من العجم ما يزيد على عشرة آلاف.

ولما جاء اعتماد الدولة من عند الشاه، بعد ساعات قضاها معه، قال لي: إن الشاه شكر فعلك، ودعا لك،وهو يسلم عليك ويرجو منك أن تحضر معهم غدا في المكان الأول. لأني أمرتهم أن يكتبوا جميع ما قرروه والتزموه في رقعة، ويضع كل منهم خاتمه تحت اسمه، وأرجو منك أن تكتب شهادتك فوق الرقعة في صدرها بأنك شهدت على الفرق الثلاث فقلت: حبا وكرامة.

المؤتمر في يومه الثاني

قبل ظهر يوم الخميس الخامس وعشرين خلون من شوال ١١٥٦هـ جاء الأمر بان نحضر كلنا في المكان الأول فاجتمعنا فيه. بازدحام عظيم يبلغ عددهم نحو ستين ألفا، فلما جلسنا أتوا بجريدة طولها أكثر من سبعة أشبار سطورها طوال إلى ثلثين والثلث الثالث مقسم أربعة أقسام، بين كل قسم وقسم بياض نحو أربع أصابع أو أكثر لكن السطور أقصر من السطور الأولى بكثير.

فأمر الملا باشي مفتي الركاب اقا حسيني أن يقرأها قائما على رؤوس الإشهاد وكان رجلا طويلا بائنا فأخذ الجريدة وهي مكتوبة بالفارسية وكان مضمونها:

إن الله اقتضت حكمته إرسال الرسل فلم يزل يرسل رسولا بعد رسول حتى جاءت نبوة نبينا محمد ﷺ ولما توفي وكان خاتم الأنبياء والمرسلين اتفقت الأصحاب رضي الله عنهم على أفضلهم وأخيرهم وأعلمهم: أبي بكر الصديق ابن أبي قحافة رضي الله عنه فاجمعوا على بيعته فبايعه كلهم حتى الإمام علي بن أبي طالب بطوعه واختياره ومن غير جبر ولا إكراه فتمت له البيعة والخلافة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم حجة قطعية وقد مدحهم الله في كتابه المجيد فقال: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾[1] وقال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة

---

(١) سورة التوبة -١٠٠.

فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ [1]. وكانوا إذ ذاك سبعمائة صحابي كلهم حضروا بيعة الصديق.

وقال ﷺ: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)[2].

ثم عهد أبو بكر الصديق بالخلافة لعمر بن الخطاب فبايعه الصحابة كلهم حتى الإمام علي بن أبي طالب، فاتفق رأيهم على عثمان بن عفان. ثم استشهد في الدار ولم يعهد، فبقيت الخلافة شاغرة، فاجتمع الصحابة في ذلك العصر على علي بن أبي طالب. وكان هؤلاء الأربعة في مكان واحد، وفي عصر واحد، ولم يقع بينهم تشاجر ولا تخاصم ولا نزاع، بل كان كل منهم يحب الآخر ويمدحه ويثني عليه. حتى أن علياً رضي الله عنه سئل عن الشيخين فقال: هما إمامان عادلان مقسطان كانا على الحق وماتا عليه[3] كما روي مرارا عن الإمام علي رضي الله عنه في خطبه في الكوفة، وهو يرتقي المنبر: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، رواه البلخي عن شريك حين سُئل: أيهما أفضل أبو بكر أم علي، فقال: أبو بكر، فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي، قال: نعم، من لم يقل هذا فليس شيعياً. والله لقد رقى هذه الأعواد (أي المنبر) علي رضي الله عنه فقال: إلا أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. فكيف نرد قوله وكيف نكذبه، والله ما كان كذابا[4]. وان أبا بكر لما ولي الخلافة قال: أتبايعونني وفيكم علي؟

فاعلموا أيها الإيرانيون أن أفضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب فمن سبهم أو أنقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاه وعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين.

وكنت (أي قول نادر شاه) شرطت عليكم حين المبايعة في صحراء مغان رفع السب فالآن رفعته، فمن سب قتلته وأسرت أولاده وعياله، وأخذت أمواله، ولم يكن في نواحي إيران ولا في أطرافها سب ولا شيء من هذه الأمور الفظيعة، وإنما حدثت

---

(١) سورة الفتح -١٨.

(٢) رواه الحاكم والنسائي وهو حديث ضعيف لا يعتد به عند علماء الجرح والتعديل.

(٣) انظر إحقاق الحق / للقاضي الشوشتري الإمامي ج١، ١٦.

(٤) انظر كتاب تثبيت النبوة/ عبد الجبار الهمداني، وانظر كتاب تلخيص الشافي/ للطوسي ج٢، ص٤٢٨.

أيام الشاه إسماعيل الصفوي[1]. وقد ولد شاه إسماعيل سنة ٨٩٢هـ وأسس الدولة الصفوية وهو في مقتبل العمر، واستولى على بغداد سنة ٩١٥ وأعلن في سنة ٩١٦هـ للمرة الأولى في تاريخ إيران أن مذهبها الرسمي مذهب الشيعة، وفرض سب الشيخين على المسلمين بالقوة وفرض الشهادة الثالثة وأقام الاحتفالات السنوية بمجالس العزاء في عاشور، وفرض هذه الأمور والمستحدثات على الشعب[2]، وقتل في سبيل تحقيق هدفه من فرض التشيع الصفوي المغالي أكثر من مليون شخص خلال سنة، وبدل هوية المجتمع الإيراني من التعددية في المذاهب والعبادة إلى فرض المذهب الأوحد المغالي، وحاول فرض هذه السياسة في بغداد أيضا، حيث مكث فيها ربع قرن، حتى استطاع العثمانيون إخراجه بعد هزيمته أمام السلطان سليم سنة ٩٢٠هـ في معركة جال ديران الشهيرة التي جرح فيها الشاه إسماعيل نفسه وهرب، ومات بعد هذه الهزيمة بعشر سنوات عن ٣٧ عاما قضى ٢٤ عاما منها في الحكم ودفن في أردبيل بجانب أبيه[3].

---

(١) وهو إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن إبراهيم بن خوجة علي بن الشيخ موسى بن الشيخ صفي الدين إسحاق الاردبيلي صاحب الطريقة الصوفية الصفوية.

(٢) يروي الشيخ الصدوق (محمد بن بابويه القمي) في كتاب: من لا يحضره الفقيه، قوله: (لعن الله المفوضة والغلاة الذين أضافوا الشهادة الثالثة للأذان). كما يذكر الشيخ الطوسي (الملقب بشيخ الطائفة) في كتابه النهاية في الفقه والفتوى في كتاب الصلاة ص(٦٩)، قوله: وأما ما روى في شواذ الأخبار من قول: (أشهد أن علياً ولي الله، وآل محمد خير البرية) فمما لا يعمل عليه في الأذان والإقامة. فمن عمل بها كان مخطئاً.

كما لم يذكر الشيخ الطوسي السجود على التربة الحسينية في كتابه النهاية وبقية كتبه المعروفة، لأنها لم تكن موجودة في عصره، أي إلى سنة وفاته في ٤٦٠هـ (العصر العباسي السلجوقي)، وإنما استحدثت في العصر الصفوي أي بعد الطوسي بستة قرون، أما في العراق فلم يكن علماء الإمامية يقرون ذلك حتى عام ١٨٧٠م حينما زار الشاه ناصر الدين القاجاري العراق في عهد الوالي العثماني مدحت باشا، وعند زيارته النجف سمع الأذان خالياً من الشهادة الثالثة فأمر المؤذن أن يعيد الأذان ويثبت فيه الشهادة الثالثة، فانتشرت هذه الشهادة في مساجد الشيعة، واعتادها الناس بعد ذلك، شأنها شأن غيرها من المستحدثات الصفوية والعثمانية التي انتشرت بين المسلمين (انظر: كتاب لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. علي الوردي/ الجزء الثاني، ص٢٥٩).

(٣) انظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. علي الوردي ج١، ٤٣-٥٠، وانظر مؤتمر النجف/ تحقيق محب الدين الخطيب.

ولم يزل أولاده يقتفون أثره حتى كثر السب وانتشرت البدع واتسع الخرق، منذ عام ثمانمائة وسبعة وخمسين[1] فيكون لظهور هذه القبائح ثلاثمائة سنة. (ثم انه تكلم كلاما كثيرا لا محل لذكره ها هنا. وإلى هنا انتهت السطور الطوال)...

هذا والسطور القصار التي تلي كلام الشاه مضمونها على لسان الإيرانيين وهو:

(إنا قد التزمنا رفع السب وأن الصحابة وفضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب الذي هو في الرقعة، فمن سب منا أو قال خلاف ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وعلينا غضب نادر شاه. وما لنا ودماؤنا وأولادنا حلال له). ثم أنهم وضعوا خواتمهم في البياض الذي تحت كلامهم. والسطور القصار التي تلي هذه عن لسان أهل النجف وكربلاء والحلة والخوارزم (ومضمونها عين الأول) ثم وضعوا خواتمهم تحت البياض المذكور، ومنهم السيد نصر الله المعروف بابن قطة والشيخ جواد النجفي الكوفي وغيرهم.

والسطور القصار التي تلي ذلك عن لسان الأفغانيين ومضمونها: (أن الإيرانيين إذا التزموا ما قرروه ولم يصدر عنهم خلاف ذلك، فهم من الفرق الإسلامية لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم).

ثم وضعوا خواتمهم في البياض الذي تحت أسمائهم: والتي تلي ذلك على لسان علماء ما وراء النهر، ومضمونها عين ما قاله الأفغانيون ووضعوا خواتمهم تحت.

ثم أن هذا الفقير كتب شهادته فوق صدر الورقة بأني: (أشهدت شهدت على الفرق الثلاث بما قرروه والتزموه وأشهدوني عليه ووضعت خاتمي تحت اسمي فوق ذلك. وكان الوقت وقتاً مشهوداً من عجائب الدنيا وصار (للمسلمين) فرح وسرور ولم يقع مثله في العصور ولا تشبهه الأعراس والأعياد والحمد لله على ذلك.

---

(١) في هذه السنة بالذات سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، سنة فتح القسطنطينية والتي تمثل عصر القوة والتألق العثماني، بدأ الصراع الصفوي العثماني مع فتح القسطنطينية، منذ أن كان الصفويين أمارة صغيرة بجوار دولة الخروف الأبيض (شرق تركيا) أي أن مدة الصراع في نظر نادر شاه نفسه تمتد ثلاثة قرون من ١٤٥٣-١٧٤٣م وهو موعد انعقاد مؤتمر النجف قبل أكثر من قرنين ونصف.

ثم أن الشاه بعث حلويات في صواني من فضة، ومع ذلك مبحرة من الذهب الخالص مرصعة بجميع نفائس الجواهر مما لا يتقوم، وفيها من العنبر ما هو قدر الفهر(١). فتبحرنا وأكلنا ثم أن الشاه وقف تلك المبحرة على حضرة سيدنا علي.

وخرجنا، فإذا الناس من العرب والعجم والتركستان والأفغان لا يحصي عددهم إلا الله تعالى. وكان خروجنا بعد الظهر يوم الخميس ٢٥ شوال سنة ١١٥٦هـ.

شكر نادر شاه للعلامة السويدي

يقول السيد عبد الله السويدي العباسي: ثم أتى بي الشاه مرة أخرى فدخلت على تلك الحالة الأولى، ولم يزل يأمرني بالتقدم حتى قربني أكثر من الأول. فقال لي: جزاك الله خيراً. وجزى احمد خان خيرا (أي والي بغداد الذي أرسل السويدي)، فو الله ما قصر في إصلاح ذات البين، وإطفاء الفتنة، وحقن دماء المسلمين. أيد الله سلطان آل عثمان وجعل الله عزه ورفعته أكثر من ذلك.

ثم قال لي: يا عبد الله أفندي، لا تّظن إننا نفتخر بمثل ذلك، وإنما هذا أمر يسره الله تعالى، ووفقني له، حيث كان رفع سب الصحابة على يدي، مع أن آل عثمان منذ كان السلطان سليم إلى يومنا هذا، كم جهزوا عساكر وجنوداً، وصرفوا أموالا، وأتلفوا أنفسا، ليرفعوا السب فما توفقوا إليه. وإنا لله الحمد رفعته بسهولة. وهذه القبائح (كما تقدم) نشأت من الخبيث الشاه إسماعيل أغواه أهل الأهجان[٢]. ولم تزل إلى يومنا هذا. فقلت له: إن شاء الله تعالى ترد العجم كلهم إلى ما كانوا عليه أولا من كونهم أهل السنة والجماعة (ومحبين للأئمة من الآل والأصحاب، وسيرة النبي وفقه ومنهج الإمام جعفر الصادق الصحيح(٣). فقال نادر شاه: إن شاء الله تعالى، لكن على التدريج أولا فأولا.

---

(١) الفهر: الحجر ملء الكف

٢ أي أهل الأهواء والغلو والباطنية.

(٣) يروي الاربيلي الإمامي عن علاقة الإمام الصادق بالصديق النسبية والإسلامية، فيقول عن الإمام الصادق u انه كان يقول: ولدني أبو بكر مرتين (انظر: كتاب كشف الغمة ج٢،

ثم قال لي: يا عبد الله أفندي أنا لو أفتخر لافتخرت بأني في مجلسي هذا عبارة عن أربعة سلاطين: فأنا سلطان إيران، وسلطان تركستان، وسلطان الهند، وسلطان الأفغان، ولكن هذا الأمر من توفيق الله تعالى، فأنا لي منّة على جميع المسلمين، حيث أني رفعت السب عن الصحابة وأرجو أن يشفعوا لي.

ثم قال لي: أريد أن أرسلك، لعلمي أن أحمد خان بانتظارك. لكن أرجو أن تبقى غداً فإني أمرت أن نصلي الجمعة في جامع الكوفة، وأمرت أن يذكر الصحابة على المنبر على الترتيب، ويدعي لأخي الكبير حضرة الخنكار سلطان آل عثمان (السلطان محمود خان) قبلي: ويذكر بجميع الألقاب الحسنة، ثم يدعي للأخ الأصغر (يعني نفسه) لكن يدعي لي أقل من دعاء الخنكار، لأن الواجب على الأخ الأصغر أن يوقر أخاه الأكبر. (ثم قال): في الحقيقة والواقع هو الأكبر والأجل مني، لأنه سلطان ابن سلطان، وأنا جئت إلى الدنيا ولا أب لي سلطان ولا جد.

ثم إذن لي بالخروج، فخرجت من عنده، فصار ذكر الصحابة ومناقبهم ومفاخرهم في كل خيمة، وعلى لسان الأعاجم كلهم، بحيث يذكرون لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه مناقب وفضائل يستنبطونها من الآيات والأحاديث مما يعجز عنه فحول أهل السنة. ويسفهون كذلك رأي العجم والشاه إسماعيل الصفوي (ومن سار على طريقته) في سبهم.

ص١٦١، وكذلك كتاب: فرق الشيعة/ للنوبختي ص٧٨، وكذا اليعقـوبي، والأصـفهاني فـي المقاتل وغيرهم). لأن أمه أم فروه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمها (أي جدة الصادق لامه) أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فيرجع نسب الصادق إلى الصديق عـن طـريقين وإلى المرتضى علي عن طريق واحد.

إقامة صلاة الجمعة الجامعة في مسجد الكوفة

في صبيحة الجمعة، ارتحلنا إلى الكوفة وهي عن النجف مقدار فرسخ، فلما قرب الظهر أمر مؤذنيه فأعلنوا بأذان الجمعة، وجاء الأمر بحضورها. فذهبت إلى الجامع، .فرأيته غاصاً بالناس، فيه نحو خمسة آلاف رجل من المصلين، وجميع علماء إيران والخانات حاضرون. وكان على المنبر أمام الشاه (علي مدد)، فصارت مشورة بين الملا باشي وبين علماء (كربلاء) فأمر الملا باشي بإنزال (علي مدد) وصعد العلامة السيد نصر الله الحائري – الذي كان حينذاك مجتهد الشيعة في كربلاء واحد كبار المجتهدين في العراق وإيران – فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم سلم على الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حسب ترتيبهم، ثم على الحسن والحسين وعلى باقي الصحابة والقرابة ﷺ. ثم قال: اللهم أدم دولة ظل الله في العالم، سلطان سلاطين بني آدم، كيوان رفعته.. سلطان البرين وخاقان البحرين، خادم الحرمين الشريفين، السلطان محمود خان ابن السلطان مصطفى خان، أيد الله خلافته وخلد سلطنته، ونصر جيوشه الموحدين على القوم الكافرين بحرمة الفاتحة. ثم دعا لنادر شاه دعاء أقل من ذلك، بعضه بالعربية وبعضه بالفارسية.. ثم نزل فأقيمت الصلاة فتقدم ودخل في الصلاة(١).

---

(١) لم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي صلى فيها السنة والشيعة صلاة موحدة سواء الجمعة أو الجماعة فضلا عن جهود التصحيح والتقريب والوحدة الإسلامية التي تكررت كثيراً في التاريخ الإسلامي سواء القديم أو الحديث، فأول من تسجل له هذه السابقة في توحيد المسلمين، وتوحيد صلاتهم وجهادهم وعقيدتهم ورسالتهم هو سبط النبي r الإمام الحسن بن علي ﷺ. الذي تنازل عن الخلافة لخصمه معاوية، وفق شروط معلومة، حقناً لدماء المسلمين وتوحيداً للأمة المسلمة، وكان عمل الحسن هذا سنة حسنة، ونبوءة نبوية مباركة، حيث قال r عن الحسن ﷺ: أن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح على يده بين فئتين من المسلمين. ثم تكرر الأمر في خلافة عمر بن عبد العزيز، ثم في عصر المأمون العباسي، حين قرب الإمام علي الرضا ﷺ وجعله ولياً لعهده وزوجه بنته أم إسحاق بنت المأمون، كما زوج أختها أم الفضل من ابن الإمام الرضا وهو الإمام محمد الجواد، كما هو معروف تاريخياً، ثم محاولة الشريف المرتضى الذي عاش في بغداد في القرن الرابع الهجري، حين عرض على الخليفة العباسي والسلطان البويهي مشروع الوحدة والتقريب وإزالة البدع والمكفرات، بما

ثم وزعت حلويات كثيرة وحصلت إذ ذاك غلبة وازدحام بحيث وقعت عمامة الملا باشي من رأسه وجرحت سبابته.. ثم بعد الانتهاء من الصلاة والغداء، أرسل الشاه مع اعتماد الدولة يقول لي: أخبر أحمد خان أني أرفع جميع الخلافات حتى السجود على التراب.

واجتمعت مع الملا باشي عصر يوم الجمعة وتذاكرنا في خصوص مذهب الجعفرية (أي مذهب الإمام جعفر الصادق الفقهي).. ثم إذن لي الشاه بالعودة إلى بغداد،

يشبه مقررات مؤتمر النجف في عهد نادر شاه، لكن السلطان البويهي أهمل مقترح نقيب الأشراف في بغداد الوحدوي لأسباب سياسية(انظر: كتاب لمحات اجتماعية / د. علي الوردي)، وهناك جهود عديدة فردية وجماعية بذلت في العصر الحديث وما تزال مستمرة، منها جهود الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وتلميذهما محمد رشيد رضا، وحسن البنا والكاشاني اللذان التقيا في موسم الحج في مكة المكرمة عام ١٩٤٩ واتفقا على ضرورة الوحدة الإسلامية والعمل على تدعيمها وجمع كلمة المسلمين، وكذلك جهود مصطفى السباعي ونواب صفوي وعلي شريعتي وسيد قطب ومحمود الملاح ومحمد حسين كاشف الغطاء وجواد مغنية والندوي والبرقعي ومحمد الصدر وعلي منتظري ومهدي شمس الدين وحسين فضل الله وأحمد الكاتب وأحمد الكبيسي ويوسف القرضاوي وحسين المؤيد وغيرهم كثير في أمصار العالم الإسلامي لاسيما العراق ومصر وإيران والشام.. ومن هذه الجهود أيضا الدعوة لمؤتمر القدس سنة ١٩٣٠م، وقد حضره عدد من علماء الفريقين وقد حضره من علماء العراق: الحاج نعمان أحمد الأعظمي ومحمد بهجت الأثري والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.. فضلاً عن عدد من علماء مصر وبلاد الشام، وقد صلى الفريقان في المسجد الأقصى، صلاة الجمعة مجتمعين على إمام واحد كما حدث في مؤتمر النجف، وهذا يدلل على أهمية الوحدة الإسلامية والتعايش البناء فيما يخص قضية القدس الشريف وتحريرها وجهاد المغتصبين للأرض السليبة، واهتمام المسلمين بقضية القدس وقضية الوحدة معاً. ومن الجهود الأخرى التي كان لها أثر واضح بين المسلمين، زيارة نواب صفوي، (رئيس جماعة فدائيان إسلام) لبغداد والقاهرة عام ١٩٥٣م واجتماعه بعدد من علماء السنة والشيعة لتقريب وجهات النظر، وجهود الشيخ محمد الخالصي والشيخ محمود غريب وغيرهم من المصلحين والعلماء الذين دافعوا عن القرآنية والوسطية. والتعايش ونبذ المكفرات والغلو والتطرف والخصومة بين المسلمين،ولعل جهود علماء الأزهر في مصر وعلماء النجف في العراق كانت في مقدمة الجهود التي تسعى إلى الوحدة والتقريب القرآني، وبمباركة من باقي العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي منذ أكثر من سبعين عاماً والى اليوم،ولعل لقاءات الزهاوي- الصواف مع علماء النجف وأبرزهم السيد محسن الحكيم في مطلع الستينات وكذلك لقاء الكاشاني مع البنا تتضافر مع الجهود المخلصة والحثيثة التي تجري اليوم في العديد من البلدان الإسلامية التي ترعى شجرة الوحدة والتوحيد والتي تستند إلى ثقافة الوسط القرآنية.

وأرسل معي صورة الجريدة (أي محضر مؤتمر النجف مع التواقيع والأختام للحضور) ورواة الخطبة، فلأجل هذا الذي حدث عزمت على الحج، اللهم يسر ذلك.

أبو البركات السيد عبد الله بن السيد حسين السويدي العباسي

رئيس مؤتمر النجف والشاهد عليه

عن كتاب/ النفحة المسكية في الرحلة المكية/ للسيد عبد الله السويدي

أساليب الغلاة في تبديد ثمار المؤتمر

استطاع مؤتمر النجف أن يفرض نفسه كحقيقة تاريخية وكصوت مبارك للدعوة إلى التصحيح والتقريب والوحدة الإسلامية، رغم الظروف السياسية الصعبة والحروب الدامية، التي استمرت أكثر من قرنين بين الإيرانيين والعثمانيين ورغم الروح الطائفية التي تسري بين الفريقين المتصارعين والتخلف والجهل والتعصب الذي كان يعم العالم الإسلامي آنذاك، وتربص القوى المعادية خارج العالم الإسلامي ووقوفها ضد أي تقارب أو تصحيح أو تطور إسلامي نحو وحدة الصف والكلمة، ذلك لأن الدول الغربية كانت تسودها الروح الاستعمارية وتخطط لابتلاع العالم الإسلامي المتخلف ووراثة تركة الرجل المريض (الدولة العثمانية كما سماها الغرب في أواخر عهدها) تلك التركة الثمينة والمغرية للدول الطامعة فيها.

رغم كل ذلك نجح المؤتمر في إزالة المكفرات بين المسلمين والاتفاق على الحد الأدنى والاحترام المتبادل لما عند كل فريق من فقه وتراث وحضارة مستمدة من تعاليم القرآن وهدي النبوة واجتهاد الأئمة العظام الذين عاشوا في القرون الإسلامية الأولى. ووضع أكابر العلماء من الأمصار الإسلامية العديدة أختامهم على هذه المقررات ثم صلوا صلاة واحدة وتوجهوا إلى رب واحد وقبلة واحدة ودستورهم كتاب واحد هو القرآن الكريم، ونبيهم واحد هو الرحمة المهداة محمد ﷺ. وذلك بفضل الجهود الطيبة التي بذلها علماء المسلمين وعلى رأسهم السيد عبد الله السويدي والسيد الملا باشي فضلا عن علماء كربلاء والنجف وبخارى وإيران وتركستان وأفغانستان. فكان ذلك اليوم يوماً مشهودا، كما يروي السيد عبد الله السويدي ويؤكده في مذكراته، وفرحاً غامراً عم المسلمين سواء المشاركين أو الذين سمعوا بتلك البشرى فيما بعد وحتى اليوم..

لكن ذلك الخير والبشرى بوحدة المسلمين واتحاد كلمتهم ولو بحده الأدنى لا يرضي خصوم الإسلام، ولا يرضي أهل النفاق والأهواء والمتشددين من الغلاة والمتعصبين، ولا يرضي حزب الشيطان ممن يريد أن يظل العالم الإسلامي غارقا في

غفلته وتخبطه وتفرقه وصراعاته وجهله وتخلفه، تحكمه عقلية أسطورية خرافية ظلامية، ليس لها صلة بالقرآن ونوره والسنة وهديها والعقل وحكمته، غارقة في أفق ضيق من الجدل العقيم وشعوذة ترديها في الدرك الأسفل من الهمجية والخرافة التي لابد من وجودها لكي تحافظ على امتيازات أهل المصالح والأهواء والشهوات، ولكي تمسخ الإنسان المسلم وتبعده عن طريق الهدى والعلم والتطور والسلام، ذلك لأن هناك ثلاثة أمور تمسخ الإنسان كما ذكرها المفكر المصلح الإسلامي علي شريعتي وهي: الجهل والخوف والنفعية[1] وحسب الطائفية والتعصب والفرقة والتصارع والجدل العقيم، أن يمد هذه الخصال بأسباب الوجود والازدهار والتطفل على جسم الأمة الهزيل، فالجهل هو الأصل لكل تعصب طائفي وتفكير خرافي، والخوف هو رحم الأساطير والبدع الغريبة عن الدين الحق، والنفعية هي القوة الدافعة لتعبيد الناس للجهل والخرافة والطريق السهل لاستلاب العقل الإنساني والاستحواذ على السلطة والامتيازات والشهوات، وهذه كلها يمكن أن تؤمّن لأهل النفاق والنفعية من خلال نشر الحس الطائفي وتغذيته وإثارة الفرقة والنعرات المريضة والفتن المدمّرة ونشر الغلو والتعصب، وهي من الأسلحة الفتاكة بيد دعاة التشدد والطائفية.

فماذا عمل الغلاة لإسكات هذا الصوت، وهذه الدعوة الخيرة التي انتشرت بين المسلمين، تدعو لترك المكفرات فيما بينهم والاعتصام بحبل الله واحترام المذاهب والمعتقدات والتعايش البناء وتمهيداً لبث روح الأخوة والوحدة بين المسلمين.

لقد تحرك أعداء الوحدة والسلام، لاسيما بقايا الغلاة والمتشددين الذين ابتدعوا السب بين المسلمين في اتجاهين، الأول تحرك سياسي وعسكري سريع، فقاموا بقتل نادر شاه بعد ثلاثة أشهر من إقرار المؤتمر من قبل الدولة العثمانية ووضع مقرراته موضع التنفيذ، لاسيما ما يخص الصلح والسلام وتنظيم شعائر الحج وفق ما أوصى به المؤتمر. وقد كان العلامة الإيراني السيد نصر الله الحائري ممثلاً عن الشاه في مكة ثم في الأستانة للاتفاق على الترتيبات اللازمة لذلك[2]، فكان قتل الشاه من قبل بعض

(١) انظر كتاب: هكذا تكلم علي شريعتي/ د. فاضل رسول.

(٢) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث / د. علي الوردي.

الغلاة من القومية الفارسية من جيشه بحجة تقريبه للتركمان والأزبك. فكان ذلك أول عمل سياسي عسكري لإجهاض هذا المؤتمر وعودة إيران بعد نصف قرن من الفوضى السياسية إلى عين السياسة الطائفية السابقة فيما يخص السب والتكفير والصراع العسكري مع العثمانيين، وذلك في عهد الدولة القاجارية الذي تلا عهد نادر شاه وأسرته التي عاشت حالة الفوضى بعده. وقد كانت الدولة القاجارية أكثر غلو وتشدد من سابقتها. وقد شهدت نشاطا طائفياً محموما في نشر الكتب المتشددة والطائفية أو الرد على كتب طائفية ومتشددة أخرى.

أما الاتجاه الثاني الذي حاول الغلاة والباطنيون إيقاف عجلة التصحيح والتقريب بين الأطياف الإسلامية وصولاً إلى الوحدة الإسلامية الحقة وإبطال دور مقررات مؤتمر النجف، فقد كان توجهاً فكرياً طويل المدى.. فساد كما ذكرنا النفس المتشدد التكفيري من جديد وزاد الاهتمام بنشر الكتب الطائفية وتضخيم الممارسات والاحتفالات المذهبية والمغالات فيها أكثر مما كان في العهود السابقة. وكان لظهور المطبعة الحجرية عام ١٨٨٣م الأثر الكبير في تسهيل هذه السياسة الإعلامية الطائفية. وهكذا تغير نوع الصراع بين الإيرانيين والعثمانيين، بعد الصلح الأخير بينهما وترسيم الحدود من صراع السيف والمدفع، إلى صراع الإعلام والقلم.. فنشرت المجلدات والكتب الكثيرة التي حوت مادة طائفية غثة وجدلاً عقيما، مما كرس آثار ذلك الصراع في بلورة الطائفية بشكل أوسع انتشاراً وأعمق تأثيراً[1].

---

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. علي الوردي.

مؤتمر علماء بغداد

امتاز الغلاة والزنادقة والباطنيون منذ العصر العباسي حتى اليوم بثلاث خصال تميز أسلوبهم في حربهم للإسلام، ممثلاً برسالته ورسوله وجيل النبوة الذي حمل رسالة الإسلام إلى أصقاع الأرض وحمل الأمانة وحفظها دون أن يمسها تحريف أو تشويه لاسيما كتاب الإسلام الخالد القرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ وسنته، التي دونها رجال الإسلام الأوائل ضمن سلسلة الأحاديث الصحيحة، وهذه الخصال الخبيثة التي أمتاز بها الباطنيون تاريخيا، بحيث أصبحت تشكل العقلية والنفسية الباطنية من خلال نشاطها الاجتماعي والسياسي والفكري والديني. تلك هي: الإلحاد (أي التشكيك في أصول الدين وصحته) والمجون (أي نشر الفساد والإباحية وتفجير الجنس والرذيلة) والحقد الأسود على أمة الإسلام لاسيما حملة الرسالة وجيل النبوة من الآل والأصحاب، والعرب عموماً لأنهم يدركون أن العروبة معدن الإسلام ومهده. فلابد من احتقار العرب وتراثهم ونشر مثالبهم وطمس مآثرهم ومناقبهم وفضائلهم، ليتسنى لهم تحطيم الإسلام وتشويه النظرة إليه، ولذلك فمن السهل التعرف على باطنية أي تراث أو كتاب أو نثر أو شعر بمجرد تحسس هذه الخصال الثلاث في ذلك النتاج.

وقد ظهر في العصر الحديث وتحديدا في الستينات من القرن الماضي، كتيب صغير عنوانه (مؤتمر علماء بغداد) لمؤلف غير معروف يدعى (مقاتل بن عطية) وقد طبع في بغداد وطهران من قبل ناشر مجهول، وقد كتب هذا الناشر في بداية الكتاب العبارة التالية: لقد وجدنا هذا الكتاب الثمين مخطوطاً في مكتبة راجا محمود آباد بخط المؤلف[1]، وكان تاريخ ظفرنا بهذه الدرة الثمينة في سنة ١٣٠٠هـ على مهاجرها آلاف الصلاة والتحية.. فيا ترى ما هذا الكتاب الثمين والدرة الثمينة كما أسماه الناشر...

وهل صدق الناشر في ذلك، حيث أراد أن ينشر مؤتمراً إسلامياً لعلاج الطائفية على غرار مؤتمر النجف الذي كتب أحداثه بدقة العلامة عبد الله السويدي العباسي، أم إن الناشر أراد بمثل هذه الكتب تحقيق الأهداف الباطنية الثلاثة وتأصيل العقلية

---

(١) يبدو إن هذا الناشر المجهول يشير إلى مكان هذه المكتبة في الهند زيادة في الغموض والتمويه.

الطائفية بين المسلمين، وتشويه صورة الإسلام وعظماء الإسلام في عصر النبوة الزاهر والخلافة الراشدة من خلال فبركة[١] وتلفيق أحداث ووقائع وحوارات ليس لها في الواقع رصيد ولا من العلم غطاء، ولا من التاريخ عضيد[٢].

إن قراءة هذا الكتاب والاطلاع عليه تشهد على ما يبغيه من فرقة وتعصّب وحقد على العرب والمسلمين لاسيما عظماء الإسلام، ومدى افتقاره إلى مفهوم احترام المنهج العلمي والموضوعية التاريخية.

ابتداءً يتضح للقارئ الكريم، أن الكتاب ذو طابع أسطوري خرافي، تخيله بعض الجهلة الذين ليس لهم علم بأبسط الأصول في علم الرواية والتاريخ والدين والمذاهب، فالكتاب يوحي بأن مثل هذا المؤتمر قد عقد بين السنة والشيعة على غرار مؤتمر النجف غير انه عقد في بغداد وليس النجف، ويدعي أنه أسبق من مؤتمر النجف ببضعة قرون ليضمن له السبق والشرعية، وأنه حدث في زمن الملك السلجوقي (ملك الشاه) الذي عاش في العصر العباسي الأخير في القرن الخامس الهجري (سنة ٤٨٥هـ) وجرت وقائع المؤتمر تحت إشراف الوزير العالم (نظام الملك) الذي هو بمثابة اعتماد الدولة عند نادر شاه. وقد زعم كاتب هذا المؤتمر —المجهول الهوية والسيرة– أنه قد سبق مؤتمر النجف بسبعة قرون، وقد بقي هذا المؤتمر سراً من أسرار من اشترك فيه، حتى وجد الناشر مخطوطة المؤلف سنة ١٣٠٠هـ كما يزعم (أي قبل قرن وربع من الآن)، وحين نحاول معرفة هذا المؤلف وترجمة حياته وأثاره نجده من المجهولين بل من المختلقين الذين لم يشر التاريخ إلى وجود أثر أو اسم لهم.

ومع كل ذلك يمكننا أن نتصفح هذا الكتاب ونراجع الأحداث المذكورة فيه ومدى صلتها بالوقائع التاريخية المثبتة علميا، حيث نتفاجأ بعدم وجود أية صلة مع الأحداث التاريخية التي يحاول أن يسردها عن ذلك العصر، بل نتحسس بين صفحاته فقط تلك الخصال الثلاث المعادية للإسلام روحاً ومنهجا، ويصبح واضحاً

---

(١) فبركة كلمة أعجمية معربة تعني اصطنع أو تخيل أو رتب من خياله.

(٢) سيرى القارئ الكريم من خلال متابعة بعض فقرات هذا الكتاب المنحول انه فضلا عن أسطوريته وافتقاره للسند التاريخي، فانه كتب بلغة معاصرة، وهي بطبيعة الحال لم تكن معروفة في العصر العباسي الأخير، كما ادعى الناشر المجهول إن أحداث هذا المؤتمر قد جرت في ذلك الزمن، وهي مفارقة غريبة يتميز بها الأدب الباطني عموماً.

لدى القارئ المنصف بغض النظر عن فكره وانتمائه، أن هذا الكتاب يفتقر إلى السند العلمي والتاريخي بل المنطقي أيضا.

إننا نعلم أن السلاجقة هم تركمان وهم من أهل السنة والجماعة، وقد سيطروا على الحكم العباسي في بغداد وعلى الخلافة العباسية بعد قضائهم على البويهيين وهم من بلاد فارس من المسلمين الشيعة، وذلك للفترة ٤٤٧هـ-٥٩٠هـ. ويذكر التاريخ أن السلاجقة -رغم تسننهم- فهم كالبويهيين الشيعة- رجال سياسة وسلطة. ولم تشغلهم الاهتمامات المذهبية، كما أن عصر السلطان ملك شاه، كان عصر تألق السلطة السلجوقية وهيمنتها على الساحة الإسلامية، وكان في مقدمة من حاربهم الفاطميون في مصر والصليبيون والروم في الأناضول وبلاد الشام، ولقد أبلى ملك الشاه في الجبهتين بلاءً حسناً.

أما الوزير (نظام الملك) فقد اشتهر باهتمامه بالعلم والعلماء، وكان محطاً للعلماء والفقهاء، وقد أسس المدرسة النظامية في بغداد وجعل لها فروعاً ومدارس أخرى في خراسان وغيرها، وكان نظام الملك أكرم مما صوره وتخيله المؤلف من أنه شاهد إقرار واعتراف بمنطق ذلك البطل الوهمي في القصة الذي أسماه (بالعلوي) زوراً وبهتاناً ليخفي حقيقته وحقيقة تهجمه على الآل والأصحاب والذي ينسجم وذلك الخيال الباطني المريض المعادي للإسلام والحاقد على تراثه العظيم ورجاله الكرام.

تبدأ القصة كما يرويها الكتاب بإعجاب السلطان (ملك شاه) بمنطق ذلك الرجل الباطني المحاور للخصم والذي أطلق عليه المؤلف اسم (الحسين بن علي العلوي). إن الرمزية تبدو واضحة في اختيار الاسم، كما إن التاريخ لم يحدثنا عن عالم شيعي في زمن السلطان ملك شاه السلجوقي يحمل هذا الاسم، وقد قال عنه المؤلف انه من كبار علماء الشيعة[1] على عكس الرجل المحاور في كتاب مؤتمر النجف العلامة عبد الله السويدي، فهو عالم معروف وشخصية سنية معروفة في بغداد في ذلك الوقت (في عهد الوالي أحمد باشا والسلطان نادر شاه والسلطان محمود خان العثماني) وترجمته معلومة أيضا وأثاره العلمية في متناول اليد. والظريف أن المؤلف يعطي للمناظر والعالم

---

(١) انظر: صفحة ٦ مؤتمر علماء بغداد.

السيئ والضعيف الحجة اسم (الشيخ العباسي) وهو نفس لقب رئيس مؤتمر النجف السيد عبد الله السويدي العباسي.

ومن ذلك التصوير المفتعل وتوزيع الأدوار المصطنع لشخصيات القصة الركيكة، وبمقارنة بسيطة بين شخصيات المؤتمرين نجد أن المؤلف اختار لكل شخصية حقيقية في مؤتمر النجف شخصية مقابلة رمزية لكي يتسنى له الدس والتشويه على الإسلام والمسلمين كيفما يشاء، وهي كما يأتي:

شخصيات مؤتمر النجف	الشخصيات المقابلة في مؤتمر بغداد	المناصب والألقاب
١. نادر شاه (تركماني)	ملك شاه (سلجوقي)	الحاكم وراعي المؤتمر
٢. الوزير اعتماد الدولة (عالم شيعي) صاحب دار الضيافة للسويدي	الوزير نظام الملك (عالم سني) وصاحب المدرسة النظامية في بغداد	مقرر المؤتمر
٣. العلامة السيد عبد الله السويدي (العباسي)	الشيخ الحسين بن علي (العلوي)	ممثل المذهب وصاحب الحجة الدامغة
٤. الملا باشي علي أكبر	الشيخ العباسي	أبرز العلماء المدافعين عن مذهب الملك والسلطان

أما بقية الشخصيات التاريخية في مؤتمر النجف فقد اختفت ولم تظهر في مؤتمر علماء بغداد، فضلا عن الأسماء والأعلام والتفاصيل الكثيرة والدقيقة التي ذكرها الشيخ عبد الله السويدي في روايته التاريخية عن هذا المؤتمر الواقعي، فلا يظهر في القصة المختلقة – التي لا تمت بصلة إلى التراث الإسلامي سواء الشيعي أم السني، وإنما هي قصة دست عن قصد لإثارة الخلاف والفرقة والطائفية بين المسلمين، ولا يستبعد أن يكون من كتبها ممن يحاولون شق الصف الإسلامي ومن غير المسلمين، ولغرض

اللعب بالورقة الطائفية لصالح خصوم الإسلام - غير الخيالات الحاقدة والقذف والتحامل على تاريخ المسلمين والسب والطعن سواء على أصحاب رسول الله ﷺ لاسيما كبار الصحابة أو أهل البيت الكرام. فأبو بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة منافقون وكفرة ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ وخالد بن الوليد زاني ومجرم وقاتل وأبو هريرة كذّاب، وأبو بكر مغتصب للخلافة ولأرض فدك وعمر تهجّم على فاطمة الزهراء في بيتها مع جمع من الصحابة وأحرق بابها وجرحها في صدرها، مما أدى إلى إسقاط جنينها وموتها بعد ذلك. وبحضور زوجها علي بن أبي طالب وأمام ناظريه وهو ساكت لا يدافع عن عرضه وأهله وعن بنت رسول الله ﷺ.

أما عمليات الفتح الإسلامي التي تمّت في عهد الخلافة الراشدة فهي عملية باطلة غير شرعية لفرض الإسلام بالقوة والسيف، لأنها تمت في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، أما الكلام البذيء بحق عثمان رضي الله عنه فلا يمكن أن يصدر من مسلم مؤمن، كما هي أقبح على أبي بكر وعمر، إن أسلوب الكتاب –للأسف– أسلوب طائفي مسموم لتشويه التاريخ وإهانة الإسلام ورجاله، وكل ذلك السب والطعن والاحتقار يتم باسم مؤتمر إسلامي تخيله بعض الجهلة المتعصبين والباطنيين الحاقدين أو على الأغلب دس عليهم في الخفاء لإثارة الفتنة والعداء والطائفية بين المسلمين، لكي يتم التغطية على حقيقة مؤتمر النجف وثماره الطيبة والتي يمكن إحيائها من جديد في مؤتمر إسلامي معاصر يتسم بالعلمية والموضوعية والإنصاف، يتداعى له خيار الأمة من مثقفيها وقادتها من الطرفين لبحث ملف الوحدة والتعايش البناء وجمع الكلمة وفق المنظور القرآني الوسط، تسوده الحكمة والاعتدال بدل الجدل العقيم والتشدد والتكفير الذي يريده لنا الأعداء، وكذلك للتغطية على بقية الجهود الإسلامية السياسية والإعلامية (السنية والشيعية) لنشر منهج القرآن في التصحيح والتقريب والوحدة ونشر السلام والتعايش والألفة والاعتدال بين المسلمين، انه نفس مريض غريب عن الأمة وفكرها يريد أن يخلق نفوساً ممسوخة داخل الجسد المسلم لكي يتسنى لهم تفجيرها من الداخل في غفلة من المسلمين وجهلهم، وإننا سنحاول اختيار بعض الفقرات التي تحاول تأصيل الفكر الباطني المغالي بين المسلمين وتغذي المحاور والخصال الهدامة الثلاث في التراث والفكر الدخيل. إن الشخصية الباطنية في فترة الصراع الطائفي التي

فرضت السب والتكفير والمجون والفساد والحيونة والحقد على العرب وتراثهم وذم عظمائهم لاسيما كبار الآل والأصحاب، تراه مجسّماً في هذه القصة المفبركة المدسوسة. والغريب أن المؤلف يستند في تصحيحه وتصويبه لما يرويه من سموم تاريخية على تأكيدات الوزير نظام الملك باعتباره أحد علماء السنة في التراث والتاريخ والشريعة لكي يضفي الشرعية والقوة على افتراءاته، وترى السلطان ملك شاه دائم السؤال لوزيره عن صحة ما يقوله (العلوي) وهو بدوره يقوم بتأكيد ذلك الخبر أو الحدث بقوله:

لقد روى المؤرخون ذلك.

إن مثل هذه الأساليب الرخيصة والركيكة -الواضحة البطلان- لا تجدي نفعاً إلا مع البسطاء والجهلة من الناس الذين يسمحون للأوهام والخرافات والأساطير أن تلعب بعقولهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون بسبب غياب الوعي وتقصير العلماء في نشر الحق والنور والهداية ومحاربة الجهل والتخلف والطائفية بوسطية القرآن وهدي الرحمة المهداة والحكمة النبوية المباركة التي أنتجت جيل النبوة وتابعيهم من أحفاد الآل والأصحاب، الذي فتحوا العالم ونشروا الإسلام في الشرق والغرب. فأصبح بعض المسلمين -مع الأسف- مطيةً بيد ساسة الطائفية ودعاة الغلو وتجار الحروب وأرباب المصالح والنفعية وهم كثير في مجتمعاتنا بسبب هيمنة العقلية الخرافية والجهل والتخلف والتعصب الأعمى للهوى وما ورّثه الآباء[1]. فيكون الإنسان بعد مسخه وإفراغه من محتوى الإسلام والإيمان -دون وعي منه- عبداً لهؤلاء المنافقين والمرجفين بدل أن يكون عبداً لله رب العالمين.

لقد قام الباطنيون والغلاة فيما مضى -ولا يزالون- بجهود كبيرة لخدمة أهدافهم ومبادئهم الهدامة في زعزعة الثقة بالإيمان والتشكيك بصحة القرآن وحرّفوا السيرة والحديث النبوي وكتبوا الأخبار والروايات والتراث الضخم الذي يحتقر تراث الإسلام ويشوه صورة رجاله ويمجد تراث الزنادقة والوثنيين وينشر مآثرهم وفضائلهم مقابل

---

(١) وهو ما يطلق عليه اليوم في علم النفس (الآبائية) وتقليد الآباء والأجداد، قال تعالى: ﴿ قالوا إنا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ سورة الزخرف/٣٣. وقال النبي ﷺ: لا تكونوا إمعة أن تقولوا: إن أحسن الناس أحسنا وأن أساؤا أسأنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤا أن تحبسوا إساءتهم.

مثالب العرب والمسلمين، كما اهتم هؤلاء بأدب المجون والخلاعة سواء في الشعر أو النثر أو القصص والروايات والأخبار، ونشروا في مجالسهم تلك الفنون، وتغنوا بالخمر ومعاقرتها وأبدعوا الغزل بالمذكر وأدب الغلمان والغلمانيات، ومن أبرز الشخصيات التي مارست هذا الدور في العصر العباسي، ابن المقفع وبشار بن برد (الشاعر) وابن إياس وحماد عجرد وحماد الراوية وغيرهم. فهل نعد كتاب (مؤتمر علماء بغداد) أحد أدبيات هذه الزمرة الباطنية لمقابلة مؤتمر النجف وإبطال مفعوله في الوفاق والوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية، وتشويه التراث والتشكيك في مسلمات التاريخ الإسلامي كما فعل ابن المقفع حين حاول مقابلة القرآن الكريم ومعارضته في كتاب لكي يقول للمسلمين أن القرآن ليس كتاب معجز، وإنني أستطيع أن آتي بمثله..!

إن من يقرأ هذه الكتب الباطنية المعدة في ظلام الطائفية يستطيع أن يحكم عليها بسهولة.. وهذا اللون من الكتب أصبحت اليوم تشكل ظاهرة خطيرة ينبغي الوقوف بوجهها دفاعاً عن التراث الصادق المضيء وعن حقائق الإسلام في وجه هؤلاء الذين يهدفون إلى هدم الإسلام من الداخل، ومن أشباه تلك الكتب سلسلة كتب المدعو (محمد التيجاني)[1] التي وصلت إلى أكثر من سبعة كتب متوسطة الحجم، أبرزها كتاب (ثم اهتديت) وكتاب (لأكون مع الصادقين) و(الشيعة هم أهل السنة) وهي سلسلة مفبركة ومكتوبة في الظلام ومطروحة في المكتبات باسم شخص يدّعي أنه سني تحوّل إلى التشيع بعد هدايته، وهذه السلسلة تعكس لمن يطلع عليها، أنها كتبت من

---

(١) لا نستطيع إنكار حقيقة إن الكتب الطائفية المتشددة والتكفيرية سواء كانت في الوسط السني أو الشيعي هي انعكاس للغلو والتطرف والتعصب الطائفي وعدم احترام الآخر أو الاعتراف بشرعيته ووجوده الفكري والديني ورفض الحوار والتعايش المذهبي والحضاري الذي يدعو له الإسلام، فإننا في الوقت الذي نشجب فيه سلسلة كتب التيجاني وأمثاله فإننا نستنكر التشدد والتكفير في سلسلة كتب الشيخ إحسان الهي ظهير أو أمثاله من المتشددين السنة، لان المنهج الوسط الذي يدعو له الله سبحانه ونبيه الكريم هو الواجب الإتباع، وان الوحدة والجماعة أصل والاختلاف والخلاف استثناء وفرع، لاسيما إذا ما اتفق المسلمون على أصول الدين واحترام الآخر والاعتراف بوجوده ورأيه إذا لم يتعارض مع كليات الدين وأسسه، وان من واجب المسلمين (سنة وشيعة) الاتفاق على تلك الأصول والثوابت وتوسيع دائرة المشتركات فيما بينهم والعمل الوحدوي من أجل نصرة قضايا الإسلام والمسلمين المركزية، تماماً كما اتفق علمائهم في مؤتمر النجف وشجبوا الصراع الطائفي الذي دام ثلاثة قرون بين الصفويين والعثمانيين بتشجيع ومباركة الغرب الاستعماري، وما أشبه اليوم بالأمس.

قبل جهة مدسوسة حاقدة على الإسلام وأهله وعلى الآل والأصحاب وعلى القرآن والسنة، وان المؤلف في حقيقته وأفكاره المطروحة لا يمت بأي صلة إلى التسنن أو التشيع شأنه شأن غيره من الباطنيين الحاقدين الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ولا يؤمنون بمبدأ أو فكر، وإن غاية هذه الكتب ونشرها بين الناس هو نشر الفتنة وبذر الشك في الدين والتاريخ وهدم العقائد وتشويه صورة الإسلام وتراثه وتاريخه باسم الدفاع عن التشيع ومناصرة أهل البيت وحقهم في الخلافة. والأمر نفسه ينطبق على سلسلة كتب الباطني صالح الورداني المصري في كتبه العديدة ومنها كتاب (الخدعة) وكتاب (الشيعة في مصر) فهو رجل مخادع أو جاهل مأجور ومدسوس مع شيء يتلبسه من العقد والأحقاد على مجتمعه المسلم. إن هذه المؤلفات تعبر عن نَفَس حاقد (ملحد ومنافق وماجن)، وهناك من يحث على نشر هذه الأفكار المتشددة المدسوسة بين المسلمين باسم الدفاع عن التسنن أو التشيع ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقرات مختارة من هذا الكتاب

سنحاول أن نختار بعض العبارات والفقرات التي تعكس روح الكتاب المتشددة والطائفية.

قال العلوي: إن في الشيعة من يسبهم وفيهم من لا يسبهم.

قال العباسي: وأنت أيها العلوي من أي طائفة منهم؟

قال العلوي: من الذين لا يسبون، ولكن رأيي أن الذين يسبون لهم منطقهم، وأن سبهم لهؤلاء الثلاثة لا يوجب شيئا لا كفراً ولا فسقاً ولا هو من الذنوب الصغيرة.

قال العلوي: نعم عثمان لم يكن خليفة.

قال الملك: ولماذا.

قال العلوي: لأن الشيعة يعتقدون بطلان خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

قال الملك: ولماذا؟

قال العلوي: لأن عثمان جاء إلى الحكم بشورى ستة رجال عينهم عمر.. فشرعية عثمان مستندة إلى عمر، وعمر جاء إلى الحكم بوصية أبي بكر فشرعية عمر مستندة إلى أبي بكر. وجاء أبو بكر إلى الحكم بانتخاب جماعة صغيرة تحت حراسة السيف والقوة، فشرعية أبي بكر مستندة إلى السلاح والقوة.. وأبو بكر نفسه كان يقول: (أقيلوني فلست بخيركم (وعلي فيكم)). ولذا فالشيعة (المقصود طبعاً الغلاة الباطنيون وليس الشيعة المذهبيين المعتدلين) يعتقدون بأن خلافة هؤلاء باطلة من أساسها..

وهنا يسأل الملك وزيره: وهل صحيح ما يقوله العلوي من كلام أبي بكر وعمر؟

قال الوزير: نعم هكذا ذكر المؤرخون؟

قال الملك: فلماذا نحن نحترم هؤلاء الثلاثة؟ قال الوزير: إتباعا للسلف الصالح[1].

قال العلوي: إن عثمان لم يأت إلى الحكم إلا بوصية من عمر وانتخاب ثلاثة من المنافقين فقط. وهم: طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، فهل هؤلاء المنافقون الثلاثة – كذا – يمثلون المسلمين جميعا؟

---

(١) انظر: مؤتمر علماء بغداد ص١١-١٦

ثم أن التواريخ تذكر أن هؤلاء المنتخبين عدلوا عن عثمان عندما رأوا طغيانه وهتكه لأصحاب رسول الله.. فبدأ هؤلاء الثلاثة بتحريض الناس على قتل عثمان.

قال الملك للوزير: هل صحيح كلام العلوي؟ قال الوزير: نعم. هكذا يذكر المؤرخون؟[1]

قال العلوي: أيها الملك: إن الوزير والعباسي وكل هؤلاء العلماء يعلمون صدق كلامي وصحة مقالتي، وحقيقة حديثي، ولو أنكروا ذلك، فإن في بغداد من العلماء من يشهد على صدق كلامي وصحته وحقيقته، وأن في خزانة هذه المدرسة كتباً تشهد بصدق كلامي، ومصادر معتبرة تصرح بصحة مقالتي وحقيقته..

قال الملك للوزير: هل كلام العلوي صحيح من أن الكتب والمصادر تصرح بصحة مقالته وصدق حديثه ؟

قال الوزير: نعم. قال الملك: فلماذا سكتَّ في أول الأمر؟

قال الوزير: لأني أكره أن أطعن في أصحاب رسول الله ﷺ؟

قال العلوي: عجبت أنت تكره ذلك والله ورسوله لم يكره ذلك، حيث أنه تعالى عرف بعض الصحابة بالمنافقين..

قال العلوي في الفتوحات في عهد عمر رضي الله عنه:

أولا: إن الحكام يفتحون البلاد لأجل توسعة أراضيهم وسلطانهم، فهل هذه فضيلة؟[2].

ثانيا: لو سلمنا إن فتوحاته فضيلة لكن هل الفتوحات تبرر غصبه لخلافة رسول الله؟

---

(١) إن اختيارات الآراء في مؤتمر علماء بغداد هي في الواقع اختيارات لآراء مغالية لفرق منقرضة ومختلفة، أي إن المحاور لم يلتزم برأي جمهور أهل السنة ولا حتى لأحد الفرق، ولكنه انتقى الآراء الشاذة والمغالية بغض النظر عن الجهة التي تقول بها، فضلا عن خيال المؤلف في سرد القصة كما انه في الوقت نفسه لا يطرح رأي سواد الشيعة وعلمائهم المعتدلين، وإنما اختار رأي الروافض والغلاة منهم، وهؤلاء قد تبرأ منهم أئمة أهل البيت وعلى رأسهم الإمام محمد باقر وأخيه زيد وابنه الإمام جعفر الصادق، فضلاً عن باقي الأئمة والعلماء الأصوليين والمعتدلين الذين دعوا إلى الوحدة الإسلامية والتعايش، ومن متأخريهم السيد محمد البهائي وعلي القطيفي في العهد الصفوي، والدكتور علي شريعتي والسيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد مهدي الخالصي في العصر الحديث.

(٢) هل لأنه فتح أرض العراق وفارس والشام ومصر ونشر الإسلام شرقا وغرباً..

ثالثا: إن فتوحات عمر كانت خاطئة وكانت لها نتائج سلبية معكوسة[١]، لأن الرسول ﷺ لم يهاجم أحدا، بل كانت حروبه دفاعية[٢]، ولذلك رغب الناس في الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجا لأنهم عرفوا أن الإسلام دين سلم وسلام، أما عمر فإنه هاجم البلاد وأدخلهم في الإسلام بالسيف والقهر، ولذلك كره الناس الإسلام واتهموه بأنه دين السيف والقوة، فإذن: فتوحات عمر شوّهت سمعة الإسلام وأعطت نتائج سلبية معكوسة (كذا) ولو لم يغصب أبو بكر وعمر وعثمان الخلافة من صاحبها الشرعي، وكان الإمام علي يتسلم مهام الخلافة بعد النبي مباشرة لكان يسير بسيرة النبي ويقتفي أثره ويطبق منهاجه الصحيح، وكان ذلك موجباً لدخول الناس في دين الإسلام أفواجاً. ولكانت رقعة الإسلام تتسع حتى تملأ وجه الكرة الأرضية[٢].

قال العباسي جواباً على سؤال الملك: إني لم أسمع بمثل هذا الكلام من قبل.

قال العلوي: الآن وحيث سمعت هذا الكلام، ولك الحق فاترك خلفاءك واتبع الخليفة الشرعي (علي بن أبي طالب)[٣].

قال العلوي في عمر الذي فتحت بلاد فارس في عهده: نكره عمر لعدة أمور، أذكر لك منها أمرين:

الأول: ما فعله بفاطمة الزهراء البتول.

الثاني: رفعه الحد عن المجرم الزاني (حاشاه) خالد بن الوليد.

قال الملك للوزير بعد سماعه شرح العلوي حول إجرام الصحابي والقائد المشهور خالد بن الوليد: هل صحيح ما ذكره العلوي في حق خالد بن الوليد وأبي بكر.

قال الوزير: نعم هكذا ذكر المؤرخون.

قال الملك: فلماذا يسمي بعض الناس خالداً بـ (سيف الله المسلول)

---

(١) إن عبارة (كانت لها نتائج سلبية معكوسة) وعبارة (حروبه دفاعية) من العبارات العصرية والتي لم تكن تستخدم قبل قرن من الزمان فضلا عن تسعة قرون كما تخيل الناشر غفر الله له.

(٢) هل كلمة كرة أرضية كانت متداولة في القرن الخامس الهجري أم هي كلمة معاصرة أيضا؟.

(٣) مؤتمر علماء بغداد/ مقاتل بن عطية ص٥٢.

قال العلوي: انه سيف الشيطان المسلول. ولكن حيث انه كان عدوا لعلي بن أبي طالب، وكان مع عمر في حرق باب دار فاطمة الزهراء سماه بعض السنة بسيف الله .

قال العلوي في تخيل إساءة الصديق إلى فاطمة: إن أبا بكر بعدما أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والتهديد والقوة، أرسل عمر وقنفذا(؟) وخالد بن الوليد وأبا عبيدة الجراح وجماعة أخرى من المنافقين[1] إلى دار علي وفاطمة، وجمع عمر الحطب على باب بيت فاطمة.. وأحرق الباب بالنار، ولما جاءت فاطمة خلف الباب لترد عمر وحزبه، عصر عمر فاطمة بين الحائط والباب عصرةً شديدة وقاسية حتى أسقطت جنينها ونبت مسمار الباب في صدرها، صاحت فاطمة: أبتاه.. وقال عمر: أضربوا فاطمة فانهالت السياط عليها حتى أدموا جسمها؟[2].

---

(١) ما هذا الحقد على جيل النبوة ؟ وكأن الشرر يتطاير من قلوبهم وأفواههم، لا يبرره غير الحقد الباطني الدفين على الإسلام وأهله، وهكذا نجد النَفَس هنا في هذا الكتاب يحفز الشعور الطائفي ويغذي الحقد والكره والصراع بين السنة والشيعة، بعكس مؤتمر النجف الذي أراد نادر شاه والعلماء الذين جمعهم من الشيعة والسنة إرساء قواعد الوحدة والتقريب بين المسلمين والدعوة لثقافة الوفاق والتعايش والوسطية والاعتدال، وهو ما يدعو له الإسلام مع أهل الكتاب فضلاً عن المسلمين وأنفسهم، وإذا كان اليهود والنصارى قد اتفقوا على تبرئة اليهود من دم المسيح وهي عقيدة أساسية عند النصارى، أفلا يكون ذلك حافزاً للمسلمين الاتفاق على ترك الخلافات الجانبية وعدم إثارة الصراع الطائفي، والاتفاق على صحة القرآن وتواتره وأفضلية جيل النبوة، وان يتعاون المسلمون على ما اتفقوا عليه ويعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه، ونقول إن موضوع المهدي-مثلا-يمكن أن يترك لمعتقد المذهب سواء إن كان قد ولد أم سيولد في آخر الزمان، مادام في النص والبشارة النبوية سعة، وهي تعطي الأمل بالنصر والغلبة، وهو أمر فرعي في الفكر الإسلامي، وان فقه الإمام جعفر الصادق هو فقه لمذهب إسلامي يجوز التعبد به وكذا الزيدي والاباضي، كما صرّح الجامع الأزهر بذلك قبل نصف قرن من الزمان. وهكذا يمكن أن نلتقي جميعاً على مائدة القرآن بروح ثقافة الوسط المعتدلة بدل ثقافة صفين وثقافة الخصومة والصدام والتكفير، التي لا زال يحملها بعض المتشددين من الفريقين.

(٢) كل ذلك يحدث لفاطمة الزهراء البتول والإمام علي ساكت يرى عرضه يهان ويضرب، وبنت رسول الله يستباح بيتها، ولا يحرك ساكنا.. أي إهانة للآل والأصحاب هذه يريدها المؤلف المدسوس لنا، وأي احتقار لعظمائنا يخطط لها هؤلاء؟!.. إنها قصص وأساطير تأنف العجائز اليوم من ذكرها وتصديقها، ولقد لأنكر تلك القصة الرخيصة وأمثالها العديد من العلماء والعقلاء الشيعة منهم د.علي شريعتي والشيخ محمد حسين فضل الله.

وبقيت آثار هذه العصرة القاسية والصدمة المريرة تنخر في جسم السيدة فاطمة رضي الله عنها فأصبحت مريضة عليلة حزينة حتى فارقت الحياة بعد أبيها بأيام — ففاطمة شهيدة بيت النبوة، فاطمة قتلت بسبب عمر بن الخطاب[1].

قال الملك للوزير: هل ما يذكره العلوي صحيح؟

قال الوزير: نعم إني رأيت في التواريخ ما يذكره العلوي[2].

أما صورة عمر وشخصيته فيحاول الكتاب أن يربي أطفالنا عليها هكذا: عمر اغتصب الخلافة وأعطاها إلى أبي بكر.. وعمر أهان السيدة فاطمة وأسقط جنينها، وعمر حرم المتعة في النساء، مما سبب شيوع الزنا بين المسلمين، وعمر فتح الفتوح خطأً منه وعصياناً لنبيه، وكان الأولى أن يبقي الوثنية والمجوسية والشرك... انه نوع من الإيحاء النفسي لهدم صورة الإسلام المشرقة في نفوس المسلمين صغارا وكباراً، حتى ينشأ جيل لا يعرف عن الإسلام إلا الصورة الشوهاء، باسم الحوار والجدل والجرأة في كشف الحقيقة، الحقيقة المشوهة. ولقد رأيت بنفسي الكثير من الأساتذة والشيوخ والعلماء من الشيعة وهم لا يقرون هذا الهذيان، اذكر منهم أستاذي المرحوم الدكتور فاضل الحسب الكربلائي، الذي حدثني عن الكثير من علماء ومثقفي الشيعة، ممن لا يرضون بتلك الصورة الشوهاء عن الآل والأصحاب، وقد شجعني أن اكتب المزيد عن تراث الآل والأصحاب المضيء وصلاتهم الحميمة التي تسقط هذا الزيف والهراء وترد عليه، ولقد تشرفت بأن أكون أحد عشرين نفراً ممن شاركوا في تشيعه ودفنه في مقبرة كربلاء في أواخر سنة ٢٠٠٢م فعليه رحمة الله وجعله من السابقين إلى الفردوس الأعلى، ومن هؤلاء الأعلام الشيعة آية الله الشيخ حسين المؤيد في الكاظمية وغيرهما من الفضلاء والحكماء المعتدلين.

(١) أي هو القاتل حسب هذه الرواية الهزيلة التي لا يقبلها العقل ولا الذوق ولا الفطرة، ومع ذلك فان الوزير سيشهد على صدقها على حد زعم المؤلف والناشر المجهولين.

(٢) إن في التراث وكتب التاريخ كم ضخم من هذا الركام الأسود والتراث الحاقد الهدام، والأسلوب الأمثل لتمييز الغث من السمين، والصحيح من السقيم، كما وجدته من خلال الكتب التي قرأتها والبحوث التي وجدتها في التراث والتاريخ الإسلامي والسياحة في كتب التاريخ، أن يعتمد الكاتب المسلم بعد الاستخارة والاتكال على الله سبحانه ثلاثة معايير في خطة بحثه، تجنبه الوقوع في الفخ الطائفي والروايات المدسوسة تلك وهي:

الأول: المعيار القرآني، فلا يستقي غير الروايات التي تتفق مع روح القرآن ولا تتعارض مع الآيات القرآنية ونصوص الوحي الإلهي ومع تفسيرها وفق ضوابط اللغة العربية والشرع الحنيف.

والثاني: المعيار الأخلاقي، فلا يستقي من التراث الروايات التي تتعارض مع الخلق الإسلامي القويم، وحسن الظن بجيل النبوة وتلاميذ مدرسة القرآن والهدي النبوي الشريف والتي صرح بها القرآن الكريم، حيث جعل جيل النبوة أفضل أجيال البشرية وخير أمة أخرجت

ولقد حاول مؤلف كتاب مؤتمر علماء بغداد المنحول أن يحاكي نفس النهاية التي واجهها نادر شاه على يد الغلاة الذين قتلوه بعد ما وجدوه خطراً عليهم وعلى تيارهم الطائفي العنصري المتشدد وعلى امتيازاتهم وسلطتهم الدينية والسياسية، وفي إزالة المكفرات بين المسلمين وسريان نتائج مؤتمر النجف في الواقع الاجتماعي والسياسي للعالم الإسلامي بشقيه السني والشيعي ووضع مقرراته قيد المباشرة والتنفيذ وانتشار روح المحبة والأخوة والاعتدال بين المسلمين، مما جعل الباب مفتوحا أمام الوحدة الإسلامية والأمل معقوداً على التخلص من أجواء التوتر والغلو والصراع والطائفية التي كانت تمزق المجتمع الإسلامي وتنذر بخطر الحروب الأهلية والطائفية المدمرة، وتدفع المجتمعات الإسلامية إلى المزيد من التخلف والانحطاط وتكريس التعصب والخرافة التي كان الشرق المسلم غارقا فيها في العصور المظلمة، لاسيما المناطق والأمصار التي كانت مسرحاً للصراع الصفوي العثماني الذي دام ثلاثة قرون.

وهكذا نجد أن مؤلف تلك القصة جعل نهاية السلطان ملك شاه السلجوقي بل ووزيره نظام الملك الاغتيال، ولكنه تمادى في ذلك الوهم، فتخيل أن الملك السلجوقي ووزيره المشهور وأغلب العلماء والوزراء والقواد الذين حضروا ذلك المؤتمر المفترض، وكان عددهم يقارب السبعين قد أعلنوا تشيعهم، وتركوا مذهب أهل السنة، وحين انتشر خبر تشيع الملك والوزير نظام الملك والوزراء والقواد والكتاب في كافة

للناس، فلا يعقل أن تصدر عنهم ما ينسبه هؤلاء الجهلة والمتعصبون من أخبار وروايات هابطة.

والثالث: المعيار العلمي سواء القديم أو المعاصر كعلوم الجرح والتعديل وتراجم الرجال وضوابط الرواية الحديثية والرواية التاريخية، وان يستعان في ذلك بأهل الاختصاص وآثارهم الغنية، وكذلك الضوابط العلمية المعاصرة التحليلية والاستقرائية والاستنباطية التي ظهرت ضمن مدارس دراسة التاريخ المعاصرة وفلسفة التاريخ التي ظهرت في القرون الأخيرة، ضمن نتاج الحضارة البشرية المعاصرة، وان يراعى الحياد في دراسة الحقائق التاريخية والمنهجية الموضوعية للباحث، لكي تخرج النتائج متوازنة في دراسة التاريخ في كل مراحله، وذلك ضمن توجه إعادة كتابة التاريخ والتفسير القرآني للتاريخ. انظر في ذلك كتاب حول إعادة كتابة التاريخ وكتاب التفسير الإسلامي للتاريخ لمؤلفهما الدكتور عماد الدين خليل، وترجمة أبي بكر وعمر والسيدة فاطمة في كتاب النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة، للمؤلف.

البلاد[1].دخل في التشيع عدد كبير من الناس.. لكن بقي بعض علماء أهل السنة الذين أصروا على الباطل على مذهبهم السابق كما يزعم المؤلف في كتابه[2]. وأخذ هؤلاء السنة يحيكون المؤامرات ضد الملك ووزيره فاغتالوا الوزير نظام الملك في ١٢ رمضان سنة ٤٨٥هـ، وبعد ذلك اغتالوا الملك السلجوقي الذي اهتدى إلى الحق..

غير أن الحقيقة التاريخية شيء والوهم شيء آخر، فحينما نعود إلى التاريخ لا نجد أي أثر لهذا الهراء والخيال، إذ تقول كتب التاريخ جميعها أن السلطان ملك شاه توفى وفاة طبيعية سنة ٤٨٥هـ بعد أن حكم عشرين عاما بعد أبيه السلطان ألب أرسلان، قضاها منهمكا في الحرب مع الفاطميين في بلاد الشام ومصر والروم في بلاد الأناضول، وأنه كان من أشد المتحمسين للخلافة العباسية السنية[3]. وقد حكم السلطان ملك شاه في أواخر عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله (ت: ٤٦٧) والذي قام بالأمر بعده ولي عهده وحفيده المقتدي بأمر الله (ت: ٤٨٧هـ) فكان حكم ملك شاه جله في عهد الخليفة المقتدي، وقد حكم المشرق والمغرب واتسع ملكه اتساعاً عظيماً، فخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن، وحملت إليه الروم الجزية ولم يفته مطلب. وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مطّرد، وكان وزيره نظام الملك هو الوزير المقرب في عهد والده ألب أرسلان، وقد أسس نظام الملك المدرسة النظامية ببغداد، حيث كان بناؤها سنة ٤٥٨هـ، ودرس فيها شيوخ الشافعية والحنفية في العراق، أمثال أبي إسحاق الشيرازي شيخ الشافعية وأبو القاسم القشيري وغيرهما، وعلى الجملة فقد كان نظام الملك غرّة في جبين آل سلجوق، ومن حسناته ورفاقه حجة الإسلام الإمام الغزالي فهو صاحبه وقرينه في الطلب، وقد كلفه بالتدريس في المدرسة النظامية في بغداد وخراسان، ومن مؤلفات الغزالي المعروفة (إحياء علوم الدين) و(فضائح الباطنية) و(تهافت الفلاسفة). فهل لأمثال هذا الوزير وبعلمه هذا ودوره العلمي والسياسي المعروف ومخالطته هؤلاء

---

(١) أي المقصود الخلافة العباسية في أواخر القرن الخامس الهجري.

(٢) مؤتمر علماء بغداد، ص٧٤.

(٣) انظر تاريخ الأمم الإسلامية/ الشيخ محمد الخضري بك، ج٥ ص٤٢٧-٤٣٥، وانظر: تاريخ ابن كثير والمنتظم/ لابن الجوزي.

الأفذاذ، أن يكون دوره في هذا المؤتمر الأسطوري المزعوم، أن يؤكد فقط ما يقوله ذلك المحاور الباطني الذي أطلق عليه المؤلف اسم (العلوي) لتغطية باطنيته، انه لخيال عجيب.

ويذكر الشيخ محمد الخضري عن نظام الملك، إن الوشاة استطاعوا أن يوشوا به عند السلطان ملك شاه، ومل السلطان طول مدة الوزير واستطالة مدته، وحاول خلعه من الوزارة بسبب نفوذه عند الخليفة المقتدي وتعاظم أتباعه وحاشيته. فلم يتسنّ له ذلك، فدس إليه من يعتدي عليه فقتله سنة ٤٨٥هـ، ثم مات ملك شاه بعد ذلك بأشهر، فشجر الخلاف بين أولاده الأربعة على السلطنة بعده، وهم بركياروق وسنجر ومحمد ومحمود، فنشبت بعد ملك شاه الفتنة في البيت السلجوقي ووقعت بين رؤسائه الفتن وحكموا بينهم السيف[1].

وهكذا فقد دوّن التاريخ كافة التفاصيل عن حكم السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك عدا قصة مؤتمر علماء بغداد فلم نعثر لها على خبر أو أدنى رواية سوى ذلك الكتاب الذي قام بنشره ناشر مجهول عن مؤلف مختلق، بغية نشر النمط الباطني الهدام في التاريخ الإسلامي وتزييف العقيدة والتراث. وبلبلة عقول النشأ الجديد وتشكيكهم في المسلمات التاريخية، وفي دور عظماء الإسلام في بناء حضارة القرآن ودولة الإسلام العظمى في قرونه المزدهرة الأولى وعصوره الذهبية التليدة التي رفع لواءها أئمة العلم والدين من الآل والأصحاب ومن سار على نهجهم وصراطهم المستقيم.

(١) تاريخ الأمم الإسلامية/ ج٢ ص٤٢٩

خاتمة

بعد أن عشنا مع أحداث مؤتمر النجف الذي حدث قبل قرنين ونصف تقريباً بين عدد من العلماء من أهل السنة والشيعة برئاسة السيد عبد الله السويدي، وشهادته على ما أتفق عليه ذلك الجمع الغفير من علماء المسلمين في العراق وإيران وتركستان وأفغانستان، ومضينا مع السويدي في وصفه الدقيق للأحداث واللقاءات والحوارات التي تمت خلال أيام المؤتمر الثلاثة. وقد حاولنا عرض المؤتمر وتأمل أحداثة وفق الرؤية القرآنية الوحدوية الجديدة بعيداً عن الانحياز والتجريح أو النقد غير المنهجي لأي من الفريقين واعتبرنا هذا المؤتمر يمثل أحد المحطات ونقاط الارتكاز في التاريخ الإسلامي القريب للدعوة والتبشير بالوحدة الإسلامية والتقارب المذهبي والتعايش البناء بين أطياف المجتمع الإسلامي لاسيما بين السنة والشيعة، وقد حاولنا تصوير تلك الأحداث التاريخية بشكلها الطبيعي كما رواها أحد شهود العيان، وتابعنا حركة شخصيات المؤتمر الرئيسية بحيث أصبح من الممكن لنا أن نلمس تلك الأحداث كحقيقة تاريخية وكأننا شهود عيان لها. وبالمقابل لمسنا مدى الخيال والخرافة والأسطورة في العقلية الطائفية المتعصبة والحاقدة على الإسلام ورجاله وأهله من خلال القصة المختلقة التي قام بنشرها ناشر مجهول وأسندها إلى مؤلف مختلق وزعم أنها تعود إلى عصر يسبق عصر السلطان نادر شاه بسبعة قرون، في عصر السلطان ملك شاه السلجوقي ووزيره نظام الملك في القرن الخامس الهجري. ونظرة بسيطة في ثنايا هذه القصة ومدى الغل والحقد على الآل والأصحاب وعلى العرب والمسلمين عموما تلقي الضوء على أسطورية هذه القصة وتثير الشبهة والريبة في من وراءها من الأيادي الغريبة عن الإسلام السمح بشقيه السني والشيعي، ذلك لأنه بكل بساطة،إن هذه المفاهيم الطائفية لم تكن موجودة في ذلك العصر وإنما هي إفراز عصر الصراع الطائفي بين الصفويين والعثمانيين في العصور الأخيرة، فضلا عن الاختلاف الواضح في ثنايا التحاور والحذلقة الغبية التي كان يبدو عليها البطل الخرافي(العلوي) والأسلوب

اللاعلمي في التحاور بين شخصيات القصة الذي يفتقر إلى الموضوعية والمنطق بأبسط صورهما.

والجدير بالذكر إن العقلية التي نسجت على غرارها أحداث القصة لا تنسجم مع التشيع الذي كان يسود الأوساط الشيعية سواء المعتدلة أو المتطرفة والمغالية منها في العصر السلجوقي، فرغم أن البويهيين قد أضافوا العديد من المستحدثات والبدع الغريبة عن التشيع العلوي الأصيل الذي كان يبشر به بعض الأئمة والمجتهدين والعلماء الشيعة في عصور الإسلام الأولى، إلا أن تلك الصورة التي عرضها الكتاب، وذلك الحقد الدفين على كبار الصحابة، لم نلمس مثلها تاريخياً إلا بعد العصر الصفوي والقاجاري وفي عصور الانحطاط والتردي الطائفي بالذات، وعليه فلا بُدَّ أن يكون هذا الكتاب قد كتب قبل مدة من الزمن لا تتجاوز القرن أو القرنين كأقصى حد ذلك لأن الصراع الطائفي الذي نشب بين الصفويين والعثمانيين قد أوجب على أصحاب القرار لدى الطرفين نشر عقائد الغلو والتشدد والتكفير لتبرير الحرب بينهما وسفك دماء المسلمين وقتل الطرف الآخر وتعبئة الناس دينياً وسياسياً لرفع الجرح الشرعي في دماء وأموال المسلمين فيما بينهم[1]. ولذلك صدرت فتاوى لدى الفريقين بكفر الفريق الآخر وجواز قتله ومحاربته شأنه شأن غير المسلمين.

وعليه فان القارئ الحصيف لا يحتاج إلى جهد كبير لاكتشاف زيف هذه القصة ومدى صلتها بالتاريخ الذي نسبت له. غير أن المهم في الأمر ليس زيفها واختلاقها رغم أهمية ذلك تاريخياً وعلمياً، وإنما الأهم هو في تتبع العقل الباطني وكيف يفكر لبث سمومه الهدامة وتأثيره على النشئ الجديد في أطفال وشباب المسلمين، وردعه ومنعه من تنفيذ مخططه المعادي وغزوه الفكري المسموم لاسيما وأننا نعلم الآن أن هناك كماً كبيراً وسلاسل عديدة من الكتب الطائفية التي تطبع وتنشر تحت مختلف الشعارات، فيصبح الأمر الأهم لدى المراقبين والتربويين لدى الفريقين هو اكتشاف وتحديد النفس الباطني ومنهجه وملامح الشخصية الباطنية الاجتماعية والسياسية والفكرية والأدبية. وتلك هي من الأهداف الرئيسية لاستعراض بعض فقرات هذا

---

(١) للتوسع يراجع كتاب: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. علي الوردي.

الكتاب، كنموذج لتلك الدراسة التي لابد من تكاملها استقراءً واستنباطاً وتحليلاً، لتقديم النموذج التربوي البديل للكتاب الإسلامي المعتدل وفق منهج ثقافة القرآن الوسطية في التاريخ والتراث والأدب والفن والدين وغيرها مما يحتاجه الجيل المعاصر من ثقافة قرآنية أصيلة. ولعل كتاب مؤتمر النجف بثوبه الجديد وتحقيقه الحالي وفق الرؤية النقدية القرآنية المعاصرة، يمكن أن يعد أحد الصيحات والدعوات الصادقة للوحدة الإسلامية والتعايش المذهبي والديني، بعد أن حاولنا استبعاد بعض النصوص ذات النفس الطائفي لدى شخصيات القصة من الطرفين لتبدو منسجمة مع الهدف القرآني المنشود من تقديم مادة تراثية تاريخية قرآنية معتدلة، تدعو إلى الوحدة والتقارب المذهبي وتذم التفرق والتعصب والغلو، وتحث على إزالة المستحدثات والمكفرات والبدع الدخيلة والمنتشرة بين المسلمين سنة وشيعة، وتسلط الضوء على المعالم المضيئة لجيل النبوة من الآل والأصحاب وأبنائهم وأحفادهم ومن سار على هديهم.

وقد تبقى في النفس والأفق مشكلة أو معضلة لابد من الإشارة لها وفتح ملفها ومناقشتها ولو بشكل عابر، تلك هي مدى تقبل الطرفين لمبدأ الوسطية والاعتدال والوحدة والتقارب والتعايش والإقرار بشرعية الآخر وغيرها من المبادئ والمفاهيم المتلازمة للفكر الوحدوي المتسامح، بعد أن تركت القرون الماضية بصماتها على عامل الثقة المتبادلة والاطمئنان في جدوى هذا المنهج ومنع استغلاله من قبل أحد الفريقين على حساب الثاني، ولقد حاول الكثير من الباحثين السنة والشيعة تسليط الضوء على التراث المضيء للآل والأصحاب وعمق الأواصر بينهم ودعوا إلى تعزيز الوسطية والأخوة والتقارب المذهبي بين المسلمين، ودعوا إلى التسامي عن الأفق الطائفي الضيق للوصول إلى القرآنية السمحة دون المرور بالتعددية المذهبية التي ندعو لها، والتي تقوم على أساس هدي القرآن والسنة الصحيحة ونقد التراث وفق المعيار القرآني والأخلاقي والعلمي، محاولين أن نمرّر فكرنا وعقلنا وتراثنا في غربال التصحيح والنقد المجرد لنصل إلى استلهام الوحي الصادق على ضوء فهمنا وحاجتنا المعاصرة لاستلهام روح الإيمان وإحياء حضارة القرآن في حياتنا من جديد.

وذلك يشير إلى صدق التوجه في الدعوة إلى القرآنية والوسطية والاعتدال من خلال المسار الطويل في محاولة علاج الطائفية بين المسلمين. وينبغي لنا أن لا ندعو من خلال الكتب والمؤلفات والبرامج والمؤتمرات إلى جانب واحد أو مذهب واحد، فنقع في فخ ثقافة صفين الطائفية دون أن نعلم، وإنما ندعو إلى ثقافة القرآني الوسطية دون أن يعني ذلك محاربة المذهب أو الانسلاخ عنه، فالمذهب مدرسة للتعبد والتفقه في الدين، ولكن لابد من أن يكون النفس الوحدوي القرآني هو الموجه لفكر المسلم وعلقه وروحه فالتسنن والتشيع في أصلهما ونشأتهما هما وجهان لحقيقة واحدة هي حقيقة رسالة الإسلام الخالد، وفرعا الشجرة المباركة التي تشرف بالعمل في ظلها أجيال المسلمين منذ العصر النبوي وحتى قيام الساعة. وقد آن للمسلمين أن يضعوا حداً لذلك الخلاف الذي عمّقه الأعداء والخصوم التقليديين للإسلام الحنيف، وعبث به الزمن فتحول من اختلاف تنوع وتكامل في العصور الأولى. إلى اختلاف تضاد وتصارع وأحقاد دفينة كما سجله التاريخ في العصور الأخيرة. ترى هل سيقبل المتشددون منطق الوحدة والتعايش والسلام من الطرفين. وهل سنرى جيلاً من الشباب المسلم يفهم الإسلام على ضوء هدي الكتاب والسنة بعيدا عن الفهم المذهبي الأحادي المحدود؟.

ولابد من التأكيد على أننا مؤمنون بأن هذه الجهود التي بذلها الدعاة والمصلحون والكتاب في هذا العصر الذي يواجه فيه الإسلام خطر الفناء الفكري والإبادة والغزو الحضاري الغربي وصدام الحضارات والعلمنة والعولمة وغيرها من المفاهيم والتحديات التي وصلت إلى مخادعنا. إن كل ذلك كفيل بان يجعل المسلم اليوم واعياً يقظاً يدرك نذير الخطر ومنهج الأعداء والخصوم في الداخل والخارج، ويعي منهج القرآن في ضرورة التكاتف والتكامل وتوحيد الجهود لبناء حضارة القرآن ودفع المسلمين لمواكبة التطور والتقدم ومحاربة الجهل والتخلف والهرطقة والخرافة والتفرق الذي اتسم به واقع المسلمين في عصر الانحطاط في القرون الأخيرة، وكذلك لإنقاذ البشرية من براثن الشيطان وخطر إتباعه في الاستحواذ على مقدرات العالم وتوجيهها لخدمة مصالحهم وشهواتهم وإيصال البشرية إلى حافة الفناء مادياً وقيمياً، بعد أن استدار الزمان دورته وعادت إلينا حمى الاستعمار والاحتلال البغيض في أبشع الصور.

قال تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قل إنما أنذركم بالوحي، ولا يسمع الصم الدعاء إذا هم ينذرون﴾[2].

ويصور لنا النبي ﷺ حالنا بعد أن أصابنا الوهن والضعف بسبب التفرق والجهل في حديث التداعي المشهور والذي أشرنا إليه في مقدمة الكتاب ونكرره في خاتمته لأهميته وتجسيده للخطر الذي يداهم الأمة ويقف على أعتابها.. يقول المصطفى (ص): يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ﷺ، قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء، كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم لكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله.. قال: حب الدنيا وكراهية الموت[3].

ويقول النبي ﷺ في حب أهل البيت والصحابة: أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي وأصحابي[4]. ويقول سيدنا الإمام علي رضي الله عنه: لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب رجل مؤمن[5].

وفي ختام هذا المبحث المختصر والسياحة في تراث الوحدة الإسلامية، وفي أروقة مدينة النجف التي تشرف ثراها بقبر الخليفة الراشد الرابع الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وتشرفت بأن تكون عاصمة الخلافة الراشدة في أواخر عهدها الزاهر، وأن تحتضن أكبر مؤتمر للوحدة الإسلامية في التاريخ، والذي انتهى– كما عشنا أيامه الخالدة– بالوحدة والوفاق والتعايش الأخوي الإسلامي.. ندعو الله سبحانه أن يأخذ بيدنا للسير على خطى جيل النبوة ومنهج الوحي وأن يكون هذا المؤتمر وأمثاله من الجهود المخلصة التي بذلت وتبذل اليوم لتدعيم الوحدة الإسلامية وفق ثقافة القرآن

---

(١) سورة آل عمرن/١٠٣.
(٢) سورة الأنبياء/٤٥.
(٣) رواه أصحاب السنن وقال الترمذي حديث حسن صحيح.
(٤) رواه الديلمي وابن عدي.
(٥) رواه ابن شهر آشوب الإمامي في المناقب.

الوسطية المتسامحة، قدوة لنا لخدمة ديننا الحنيف وأمتنا المجيدة التي أرادها الله أن تكون خير الأمم ورائدة لها لتفعيل حضارة القرآن ودور الإنسان على الأرض، بعد أن يعم السلام والإيمان عليها، وتتوحد القلوب والنفوس على منهج الله سبحانه كما أنزله،وان يوفقنا لبذل الجهد في تنقية تراثنا مما علق به عبر الزمن من روايات الغلو والتشدد والتطرف التي دسها المنافقون والمندسون ..

انه سميع مجيب وهو نعم المولى ونعم النصير

المصادر

١. تاريخ المذاهب الإسلامية/ الشيخ محمد أبو زهرة.

٢. تاريخ الدولة العربية الإسلامية/ العصور العباسية/ د. رشيد الجميلي.

٣. أربع قرون من تاريخ العراق الحديث/ لونكريك ترجمة جعفر الخياط.

٤. إيران في العصر الصفوي/ راجر سيوري.

٥. الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية/ علي حسون.

٦. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث/ د. علي الوردي.

٧. الدولة العثمانية العلية/ محمد فريد وجدي.

٨. العراق بين إحتلالين/ عباس العزاوي.

٩. العراق في العهد العثماني/ د. علاء نورس.

١٠. التفسير الإسلامي للتاريخ / د. عماد الدين خليل.

١١. حول إعادة كتابة التاريخ/ د. عماد الدين خليل.

١٢. تاريخ العراق في العهد العثماني/ علي شاكر علي.

١٣. دعاة لا قضاة/ الشيخ حسن الهضيبي.

١٤. النفحة المسكية في الرحلة المكية/ عبد الله السويدي العباسي.

١٥. مؤتمر النجف/ تحقيق محب الدين الخطيب.

١٦. مؤتمر علماء بغداد/ مقاتل بن عطية.

١٧. مسألة التقريب بين الشيعة وأهل السنة/ د. ناصر القفاري.

١٨. لا سنة ولا شيعة/ محمد الزعبي.

١٩. معجم رجال الحديث/ السيد أبو القاسم الخوئي.

٢٠. تطور الفكر السياسي الشيعي/ احمد الكاتب.

٢١. المراجعات/ عبد الحسين شرف الدين.

٢٢. البينات في الرد على أباطيل المراجعات/ محمود الزعبي.
٢٣. هكذا تكلم علي شريعتي/ د. فاضل رسول.
٢٤. الشيعة والتصحيح/ د. موسى الموسوي.
٢٥. حقائق غائبة عن أهل السنة والشيعة/ سالم البهنساوي.
٢٦. التشيع العلوي والتشيع الصفوي / د. علي شريعتي.
٢٧. جمال الدين الأفغاني/ د. محمد عمارة.
٢٨. إسرائيليات معاصرة/ د. صلاح الدين الخالدي.
٢٩. السيف اليماني في نحر الأصفهاني ../ الشيخ وليد الأعظمي.
٣٠. الأمة الوسط/ علاء الدين المدرس.
٣١. النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة/ علاء الدين المدرس.
٣٢. الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة/ علاء الدين المدرس.
٣٣. فضائل جيل النبوة في القرآن والسنة/ علاء الدين المدرس ط.المعروف– بغداد٢٠٠٠م.
٣٤. الصراع الصفوي العثماني وأثره في بلورة الطائفية/ علاء الدين المدرس ط.٢٠٠٠م.
٣٥. ثم اهتديت/ محمد التيجاني.
٣٦. لأكون مع الصادقين/ محمد التيجاني.
٣٧. الخدعة/ صالح الورداني.
٣٨. نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق/ يوسف غنيمة.

المحتويات

صدر للمؤلف

١- الظاهرة القرآنية والعقل ط. بغداد سنة ١٩٨٦م.

٢- النبوءة والإعجاز في القرآن والسنة ط.بغداد سنة ١٩٨٨م.

٣- الوصايا الخالدة في القرآن الكريم ط.بغداد سنة ١٩٩٢م.

٤- النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة ط.بغداد وعمان والدوحة والقاهرة خلال السنين ١٩٩٨ - ٢٠٠٦م.

٥- ثقافة الوسط ط.بغداد وعمان سنة ٢٠٠٤- ٢٠٠٦م.

٦- الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة ط. بغداد وعمان ١٩٩٩م - ٢٠٠٥م.

٧- أقباس من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ط. بغداد وعمان ٢٠٠١م.

٨- أقباس من أثر القرآن في التاريخ والحضارة والتراث ط. بغداد ٢٠٠١م.

٩- تراث الأنبياء بين العلم والقرآن والتوراة ط.بغداد سنة ٢٠٠٠م.

١٠- تحت رماد الحرب العاصفة ط. بغداد وعمان وبيروت ودمشق سنة الطبع ٢٠٠٣م/ ٢٠٠٤م.

١١- برزخ العالم الثالث ط. بغداد وبيروت ٢٠٠٤م.

١٢- في آفاق عولمة اللغة والتاريخ.. لغة آدم ولغة القرآن ط. عمان/ دمشق ٢٠٠٧م.